حصاد الأيام الستة

أو

حرب ٥ يونيو

الدكتور

جمال الدين الرمادى

دار الشعب

حصاد الأيام الستة

أو

حرب ٥ يونيو

الدكتور

جمال الدين الرمادي

فهرس

صفحة

الباب الثالث

نكسات وانتصارات

الباب الرابع

لكى نسقط الحمامة

مقدمة

لم تكن حرب يونيو عام ١٩٦٧ حربا عفوية ، كما لم تكن ردا على عدوان قائم أو دفاعا عن حق ضائع مسلوب كما لم تكن وسيلة لتسوية قضية حرية الملاحة فى خليج العقبة بعد ان عادت القوات المصرية الى مواقعها القديمة فى شرم الشيخ كما يزعم كثير من دعاة الاسرائيليين ، انما كانت حصاد حقد قديم وامتدادا لسياسة توسعية قديمة عبر العصور ، وتنفيذا لمخططات صهيونية محكمة لشيوخ صهيون ، وتحقيقا لبروتوكولات موضوعة وضعها هؤلاء الشيوخ من أجل القضاء على أعداء الصهيونية ، وانتصار العنصر اليهودى على كافة العناصر الانسانية ، لانهم فى عرف أنفسهم شعب الله المختار ، ولا بد أن تتم الحية الرقطاء ـ وهى شعارهم الذى يضعونه نصب أعينهم ـ دورتها فتهلك الشعوب الأخرى تحتها وتقضى عليها قضاء مبرما ، فلا تقوم لها بعد ذلك قيامة أبدا .

لم تكن حرب يونيو اذن حربا دفاعية من جانب اليهود ، انما كانت حربا عدوانية مدبرة ، تحالفت فيها قوى الاستعمار من أجل ازهاق الحق العربى ، وتضييع حقوق العرب فى فلسطين بعد أن

شردت آلاف الأسر ، ونهبت مئـات الديار ، وارتفعت أصـوات اللاجئين تشكو الى ربها بثها وبلواها من ظلم القوم الظالمين ، وأوشكت الشعوب الحرة الأبية ان تستجيب لنداء هؤلاء المحرومين ، ولدعاء هؤلاء المكروبين ، غير ان اسرائيل لم تستجب لأى قرار تصـدره الأمم المتحـدة فى جانب هؤلاء المشردين بل أمعنت فى غيها وضلالها وأوغلت فى بغيها وعدوانها دون رادع من عقل أو وازع من ضمير .

وفى هذا الكتاب سوف نحاول أن ندرس مقدمات حرب يونيو كما ندرس المعركة نفسها ، ونتائجها ، والدروس المستفادة منها ، ونعرض على الانظار صورا خفية ظلت مطوية الاسرار ، كما نناقش بعض ماكتب عن المعركة ومنه ماكتبه الصحفيون الروس ايليايف ، ت كوليستينشنكو ، ى . بريماكوف عن خطة اسرائيل فى المعركة أو ما اطلقت عليه « اطلاق الحمامة » وهو فى الواقع لم يكن الا خطة الصقور الجارحة ، وبغاث الطير الجانحـة التى تنهش وتفترس ، وتنقض وتقتنص ، كما نناقش ما كتبه راندلوف تشرشل ونستون تشرشل ابن وحفيد السيـاسى البريطـانى العتيق عن المعركة فى كتابهما « حرب الايام الستة » وكان ونستون تشرشل قد سافر الى مكان الاحداث ليعمل مراسلا عسكريا بينما بقى راندلوف فى لندن ليتلقى أنباء المعركة من ابنه ، فلما وضعت الحرب أوزارها ، وانجلت المعـركة اشترك الابن والحفيـد فى تأليف كتاب « حرب الايام الستة » وقد أعطيا فى كتابهما صورة عن المعركة كان جانب منها يساير الواقع ، ويتمشى مع الحقيقة بينما كان الجانب الآخر مغطى بغلالة من الحقـد القديم ، والبغض الدفين للعرب ، ولكننا لا نستطيع أن نرغم الكتاب على الدفاع عن قضيتنا والا كان ذلك ضربا من الخيال ولونا من الخبال ، فليكتب الكتاب ماشاء لهم أن يكتبوا ، وليدون المعلقون السياسيون كما يحلو لهـم أن يدونوا ، وعلى الرأى العام بعد ذلك أن يمحص ما كتب من كتابات ، وما دون من مدونات ، وعليه أن يدرك الخبيث من الطيب ، والحقيقة من

الاسطورة ، والواقع من الكذب والافتراء ، فلقد أصبحت الشعوب اليوم متنبهة الأذهان ، متفتحة الآذان ، لا ينطلى عليهـا الكذب ، ولا يخدعها الافتراء . فان للحق رنينا صادقا يتميز به عن كل رنين ، وان للخيال نسيجا مشوها يفترق به عن كل نسيج ، وسوف نضع نصب أعيننا حق الشعب العربى فى الحياة الحرة الكريمة ، وتحطيم اصفاد الاستعمار قيدا قيدا ، والتمسك بمبادئنا الوطنية التى نحرص عليها حرصنا على الحيـــاة ، بيد أننا نفضل الموت على أن نتنازل عنها ، فان الشعب العربى على حد تعبير الشاعر العربى يقابل المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا »

الباب الأول

حصاد حقد قديم

الفصل الأول

أحلام العودة

تراود الصهاينة منذ اقدم العصور أحلام مثيرة حول أرض الميعاد ، ويتوقون الى اليوم الذى يستوطنون فيه أرض فلسطين ؛ والذى ظل خياله يداعبهم منذ قرون طويلة ومنذ أن ازال الرومان مملكة يهوذا من خريطة الوجود ، والتى كانت عاصمتها « اورشليم » وقد بث الاباء فى الابناء عقيدة ظلوا يتوارثونها جيلا بعد جيل وهى أن فلسطين أرض يهودية ، وان اليهود هم أول من استوطنوا ارض فلسطين . وهذه العقيدة تخالف الواقع وتجافى التاريخ ، وتحمل كثيرا من الخلط والشطط ، فأرض فلسطين كانت فى بداية الأمر موطنا للكنعانيين . بل ان التوراة — وهو كتاب اليهود المقدس — تعترف بأن فلسطين موطن الكنعانيين كما تصف الكنعانيين بأنهم من أصل عربى . ويؤيد الطبرى فى تاريخه هذه الحقيقة التاريخية التى لا تقبل الشك كما يؤيد ابن خلدون هذه الحقيقة .

ولم نقف الأمر عند المؤرخين العرب انما اعترف بذلك المؤرخ الغربى رابوبور Rappoport فى كتابه تاريخ فلسطين ، وباتو فى كتابه « التاريخ القديم لمصر وفلسطين » وبرستيد فى كتابه « تاريخ المصريين القدماء » وكانت أرض فلسطين تسمى « أرض كنعان » وهؤلاء الكنعانيون كانوا يمثلون الموجة الثانية السامية التى هاجرت من الجزيرة العربية حوالى عام ٢٥٠٠ ق.م . وامتد سلطانهم حتى مدينة حماه ، وظلت لهم السيادة حوالى ١٥٠٠ عام .

ويقول رابوبور « يرجع وجود السكان فى فلسطين الى عهد قديم جدا ، يقدره بعضهم بعشرة آلاف سنة قبل الميلاد ، وقبل أن يضع اليهود أول قدم لهم فى هذه البلاد كان مستوطنا بها أقوام ذوو حضارة ومجد كالكنعانيين والحيثيين والفينيقيين والفلسطينيين وغيرهم » .

ولم يكن العبرانيون أجداد اليهود من أصل فلسطينى انما كانوا من البابليين الذين هاجروا من بابل واستوطنوا هذه البقاع من الأرض ، ولم يكونوا من الرواد الأوائل هناك ، انما وجدوا سكانا أصليين غيرهم ، ولم يكن مجيئهم أمرا طبيعيا ، انما كان مجيئهم أمرا مفتعلا ، فقد دخلوا البلاد عنوة وحربا مما جعلهم عنصرا دخيلا فى البلاد ، وجعل مجيئهم أمرا غير مرغوب فيه ، ولم يكونوا على قدر من المدنية أو نصيب من الحضارة ، انما كانوا أقواما غير مهذبين ، تبدو عليهم الغلظة ، والفظاظة ، وتتجلى فى أعمالهم القسوة والعنف ، فبقوا عشائر متنافرة متناحرة لا يربطها ، ولا يجمعها نظام .

واذا ما كان الصهاينة يشيرون الى دولتهم القديمة فى الشمال أو الجنوب وهى مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل ، فان هذه الدولة اليهودية التى أسسها داود عام ١٠٤٩ ق.م ، لم تشمل الا قسما صغيرا من فلسطين ، ولم تعمر طويلا بل عاشت فى الشمال حتى عام ٧٢١ ق.م . وفى الجنوب حتى عام ٥٨٦ ق.م . أى مدة تتراوح

بين ٣٥٠، ٤٥٠ سنة فقط ، ثم تغيرت الاحوال ، وتبدلت الظروف ، واندثرت ممالك ، وقامت ممالك أخرى والا كانت المناداة بعودة الدولة القديمة اشبه بالمناداة بعودة الدولة العثمانية مثلا بحدودها القديمة أو الدولة البيزنطية ، بل أشبه بالمناداة بدولة بروسيا مع الفارق الكبير والبون الشاسع بين الطرفين ، والتفاوت الزمني الرهيب بين الجانبين ، زد على ذلك أن اليهود عقب نقلهم الى بابل فقدوا جميع عناصرهم القومية ولم يشاءوا العودة مرة أخرى الى فلسطين انما آثروا البقاء فى البلاد التى نزحوا اليها ، واختلطوا بالاهالى ، وتقطعت الاسباب بينهم وبين وطنهم المزعوم .

ويقول المؤرخ رابوبور ان اليهود فى بداية الأمر لم يكونوا يفكرون فى انشاء هذا الوطن المزعوم بل نشأت فى بابل منذ القرن السابع قبل الميلاد فكرة ان يعيش اليهود بلا دولة وبدون ملك ومن غير ارض لان ذلك أدعى الى قوتهم وسيطرتهم على الشعوب الأخرى ، وأحرص على مصالحهم وأكثر ضمانا لمستقبلهم .

وتمضي السنوات تباعا حتى نصل الى القرن الثامن عشر فيصدر بيان أمريكى عام ١٧٧٥ كما يصدر قرار من المجلس الوطني الفرنسى فى ٢٩ سبتمبر عام ١٧٩١ ويلتقى البيان الأمريكى مع القرار الفرنسى فى نقطة واحدة وهى ان الاسرائيليين لا يفكرون فى تكوين أمة بل يريدون أن يظلوا « طائفة دينية » فحسب .

وعندما ينعقد المؤتمر اليهودى عام ١٨٠٧ يتعرض لهذا الموضوع فى كثير من الصراحة وكثير من الوضوح ، ويعلن فقهاء اليهود على الملأ دون خوف أو وجل بأنه ليس لليهود أى حق فى المطالبة بفلسطين وأن عليهم أينما كانوا أن يلغوا من أذهانهم ويحذفوا من صلواتهم وينفوا من اذهانهم كل ماله علاقة بالرجوع الى فلسطين أو تأسيس دولة فيها .

ولكن هذا الضرب من التفكير لم يعجب طائفة أخرى من اليهود فظلوا يعملون على تحقيق مراميهم القديمة ، ولم تكن قرارات مؤتمر باريس الا « حبرا على ورق » .

وكان هناك جانب من المتعصبين الذين يرون أرض الميعاد امرا لا مفر منه ولا محيص عنه ، وانهم فى سبيل هذه الارض يضحون بكل مرتخص وغال . وقد طفق هؤلاء المتزمتون يرددون كثيرا من الآثار التى حفل بها الأدب اليهودى ، مثال ذلك : « ان من سار أربعة أمتار فى ارض فلسطين خصه الله بمكان فى الجنة » « وأولى بك أن تعيش فى صحراء فلسطين الجرداء من أن تعيش لى قصر منيف » « وثواب العيش فى أرض الميعاد يعادل ثواب طاعة الله فى كل ما أوصى به موسى » « ومن كتب له أن يعيش فى فلسطين محيت ذنوبه » .

وكان كثير منهم يرحل الى حائط المبكى حيث يذرف الدموع تهتانة فى بقايا هيكل سليمان ، وحيث تنهمر العبرات أثناء الصلاة طالبة العودة الى تلك الديار واعادة بناء الهيكل .

وطالما ظل اليهـود يرددون آثار عمالقة الأدب الذين حدوهم بعطفهم ، وآثروهم بذكرهم ، ومنهم اللورد بيرون الأديب الانجليزى المعروف الذى قال « ان للحمامة البيضـاء عشا صغيرا ، وللثعلب وكرا ، ولكل انسان وطنه الا اليهود فلهم القبور » .

اما دزرائيلى فقد شمل اليهود بعطفه فى أدبه ، وجعل قضية اليهود موضوعا من موضوعات أعماله الأدبية وهو روايته « دافيد اكروا » الذى جعل بطلها يقول « تسألينني عن أعز أمنية عندى ؟ وجوابى : هى أرض الميعاد وتسألينني عما يداعب أحلامى فأقول أورشليم وتسألينني عما يستهوى فؤادى فأقول انه الكنيس ... أجل أريد كل ما فقدناه فى سالف الزمان ، وما تهفو اليه نفوسنا ! وما جاهد اباؤنا واجدادنا فى سبيل استرجاعه ، بلادنا الجميلة وعقيدتنا القدسية ، وعاداتنا البسيطة ، وتقاليدنا القديمة ... » .

ظل كثير من المتزمتين يرددون أمثال تلك الأعمال الأدبية التي تشيد بأرض الميعاد ، وظلوا يلقنونها لأبنائهم ويتوارثونها جيلا بعد جيل ظانين بذلك انهم يستطيعون تحقيق هذه الأمنية التي تداعب خيالهم وتراود أذهانهم .

ورفض الصهاينة اية بقعة فى العالم غير « أرض الميعاد » ولهذا كان ردهم على بريطانيا حينما عرضت عليهم أوغندة « ان اوغندة ليست فلسطين » كما رفض الصهاينة ايضا استيطان جزيرة قبرص أو غير ذلك من الجزر على أساس الحنين الى ارض الميعاد .

وقد أوضح وايزمان ــ وهو يناقش وعد بلفور ــ الجانب الروحى فى هذه القضية حين قال : ان الصهيونية حركة سياسية قومية . ولكن لها كذلك ناحيتها الروحية ، وأثرنا بذلك الحماسة الدينية عند اليهود ، وهل هناك ما يصلح لتحقيق هذا كله الا فى فلسطين كما قال وايزمان ايضا فى مذكرته للورد جيمس آرثر بلفور « ليس من حل لمشكلة اليهود الا بان يقام لهم وطن فى فلسطين وان يكون الحجر الاساسى لهذا الوطن فى فلسطين هو احياء لغة اليهود وتقاليدهم » .

وهكذا كانت الأحلام تراود خيالهم وتداعب أفكارهم ، وتمنيهم بأرض الميعاد التى تؤرقهم بالليل وتقلقهم بالنهار ، ويتجلى طيفها حيال أبصارهم ، ويصرف عنهم لذيذ المنام وحلو الكرى !! .

الفصل الثانى

حرب عقائدية

هكذا كانت فكرة اغتصاب فلسطين ، وشن حرب هجومية على العرب فكرة قديمة تاق اليها الصهاينة ، فاندفعوا فى حرب يونيو من أجل تحقيق مراميهم والوصول الى أمانيهم . وقد زاد الطين بلة أن كتبهم المقدسة تدعو الى سيادة العنصر اليهودى على كافة العناصر البشرية ، وعلى رأس هـذه الكتب « التلمود وهو أفضل فى نظرهم من التوراة ، حيث جاء فى صحيفـة التلمود أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها ، ومن درس « المشنا » فعل فضيلة يستحق أن يكافأ عليها ، ومن درس « الجمارا » فعل أعظم فضيلة ».

والتلمود معناه بالعبرية « تعليم » وينقسم الى قسمين : القسم الأول يسمى « مشنا » ومعناه الدرس والمطالعة ، والقسم الثانى يسمى « جمارا » ومعناه الاتمام والتكميل .

وهناك نسختان مختلفتان من التلمود احداهما نسخة التلمود الأورشليمي وقد وضعه أحبار أورشليم فى أواخر القرن الرابع الميلادى والتلمود البابلى وقد وضعه رئيس أكاديمية « سورة » بالقرب من بغداد فى أواخر القرن الخامس .

وقد ظهر مفسرون كثيرون للتلمود فى أوربا بعضهم فى فرنسا وبعضهم فى أسبانيا كما ظهر بعضهم فى فلسطين ، ونذكر منهم « ربى شلومو يصحاقى » مفسر الشريعة الذى ولد فى مدينة « ترويز » بفرنسا .

وقد أشاد هؤلاء المفسرون بمنزلة التلمود اشادة كبيرة حتى قال أحد الكتاب الأوربيين ما يلى : « لا بد أن يأتى يوم يرى الناس فيه أن التلمود هو أهم كتاب فى العالم » .

ويعتقد اليهود أن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين القار والنار وأن أمه مريم أتت به من العسكرى « باندارا » بمباشرة الزنا ، وأن الكنائس النصرانية هى قاذورات ، وأن الواعظين فيها اشبه بالكلاب النابحة ، وان قتل المسيحى من التعاليم المأمور بها ، وأن العهد مع مسيحى لا يكون عهدا صحيحا يلتزم اليهود القيام به وانه من الواجب دينا أن يلعن اليهودى ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبنى اسرائيل .

واولاد نوح فى راى التلمود هم الخارجون عن دين اليهود ، اما اليهود فانهم أولاد ابراهيم .

وقال الزابى « اليو » : سلط الله اليهود على اموال باقى الأمم ودمائهم ، كما جاء فى التلمود « لا تظلم الشخص الذى تستأجره لعمل ما اذا كان من اخوتك ، أما الأجنبى فمستثنى من ذلك » . وقد ضرب الزابى « عش » مثلا لذلك فقال « انى نظرت كرما حاملا عنبا فامرت خادمى ان يستحضر لى منه اذا ظهر انه ملك لاجنبى ؟

والا يمسه اذا ظهر انه تعلق بهودى » . كما أباح التلمود السرقة من الاجانب ، فاذا قال الحاخام : لا تسرق فان معنى ذلك عدم سرقة اليهودى ، أما الأجنبى فسرقته جائزة ، لانهم يعتقدون أن أمواله مباحة ، ولليهودى الحق فى الاستيلاء عليها .

وقال : « ففنكرن » : أموال المسيحيين مباحة لليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحر ، أول من يضع يده عليها يمتلكها .

كما جاء فى التلمود ان مثل بنى اسرائيل كمثل سيدة فى منزلها يستحضر لها زوجها النقود فتأخذها دون أن تشترك معه فى العمل والتعب .

ويعتبر اليهود كل خارج عن مذهبهم غير انسان ولا يصح أن تستعمل معه الرافة ، ويعتقدون ان غضب الله موجه اليه وانه لايلزم أن تأخذ اليهود شفقة به .

وقال الحاخام « اباربانيل » ليس من العدل أن يشفق الانسان على أعدائه ويرحمهم .

وتعود الرابى « كهانا » أن يسلم على الأجانب بقوله « الله يساعدكم » غير انه يضمر فى سره السلام لسيده أو لمعلمه أو للأجنبى .

ويقول التلمود « من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل كافر لان من يسفك دم الكافر يقدم قربانا لله » .

ويقول التلمود ايضا « أن الكفار ، كما قال الحاخام اليعاذر هم يسوع المسيح ومن اتبعه » .

أما قوله تعالى « لا تقتل » فقد فسرها « ميمانور » بقوله « ان الله نهى عن قتل شخص من بنى اسرائيل » .

وهكذا كانت العقيدة الدينية التى تتغلغل فى نفوس اليهود تدفعهم الى القتل وسفك الدماء ، وتحطيم كل القيم الأخلاقية وابادة كل فضيلة بين البشر ، وعندما ظهرت الصهيونية كمبدأ

سياسي ودعوة سياسية على يد هرتزل لم يتخل اليهـود عن تلك العقيدة الدينية المتطرفة ، بل صاروا متعطشين الى الدماء ، تواقين الى السفك والقتل والتشريد والتعذيب من أجل ابادة العنصر العربى وسيادة العنصر اليهودى .

وقد نهل الصهاينة من هذه التعاليم حتى الثمالة ، وقد بلغ من سخافة عقولهم أن اعتقدوا أن الجنس البشرى ينقسم الى قسمين يهود وجويم والجويم Goyem فى عرفهم هم الوثنيون والكفرة ، وهم غيرهم من الأجناس كما يعتقدون أنهم شعب الله المختار ، وفى ذلك يقول الله تعالى فى كتابه العزيز « ردا على هذا الزعم الباطل والافك اللعين وهذا الضلال المبين « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر لمن يشـاء ، ويعـذب من يشـاء ، ولله ملك السموات والأرض وما بينهما ، واليه المصير » .

وهكذا يؤمن الصهاينة بانهم أبناء الله واحباؤه ، وغيرهم عباد أوثان وكفار ، وان نفوس الاسرائيليين وحدها مخلوقة من نفس الله وان عنصرهم من عنصره ، والله قد منحهم الصورة البشرية تكريما لهم ، وتعظيما لشانهم على حين انه خلق غيرهم وهم « الجـويم » من طينة شيطانية تختلف اختلافا كليا عن ارواحهم الطاهرة .

ولم يخلق الله الجويم — فى عرف الاسرائيليين — الا لخدمتهم وحتى يسخروهم لخدمة هذا الجنس الأعلى ، ولم يمنح الصـورة البشرية للجويم الا بالتبعية لليهود حتى يسهل التعامل معهم ، وحتى يمكن أن يوجد تفاهم بين الطرفين مع الفارق الشديد بين شعب الله المختار ، وغيره من الأشرار .

ولذلك كان لزاما على الاسرائيليين أن يعاملوا غيرهم معاملة البهـائم والانجـاس ، والآداب التى يتمسـك بهـا الاسرائيليون لاتستخدم الا فيما بينهم وبين أنفسهم ، فهناك وفاء للعهد ، وحرمة

القول ، واخلاص فى العمل ، ولكنهم فى حلّ من استخدام هـذه الآداب فيما بينهم وبين غيرهم من الجـويم ، فالخيـانة محـللة ، وعدم الوفاء بالوعد مشروع ، والغش والخداع والنميمة مباحة ، وهتك الأعراض ، واختلاس الأموال ، وقتل النساء والشيوخ والولدان ، أمر لاعقاب عليه ولا غضاضة فيه ، وكذلك شهادة الزور لا اثم فيها اذا استخدمت ضد غيرهم من الأجناس ، بل ان شهادة الزور أمر محتم ومتفق عليه لانقاذ المجرم من التهمة ، وابعاد الشبهة عن المذنب مادام يدين بعقائدهم الفاسدة .

وقد قامت الصهيونية على خلاصة هذه المعتقدات ، ووضعت مخططات توسعية كبرى من أجل أن تنفث سمومها فى كل أرجاء العالم .

كما قامت الصهيونية لمواجهة العالم المسيحى فضـلا عن الاسلامى ، وظهر كتاب أوربيون يعطفون على هذه الحركة ويؤيدون الصهاينة ضـد الاسـلام ومنهم لورنس براون فى كتابه « طوالع الاسلام » Prospects of Islam الذى قال « ان اليهود لا خطر منهم ، والخطر الأصفر ، أى خطر الصين واليابان لا يهم لان الدول الديموقراطية تقاومه ، واما روسيا البلشفية فهى حليفتنا وتحارب فى صفنا ، ولكن الخطر الحق هو خطر الاسلام ، لما فيه من الحيوية الكامنة والقدرة على الانتشار والتسلط ، فهو السور المنيع أمام الاستعمار » .

وقبل أن تعلن اسرائيل عن وجودها بخمس سنوات تكلم عنها المستر « جون فان ايس » Ess فقـال انها ستشمل أرض الجليل ، وتصل الى شرق الأردن وخليج العقبة .

فالعداوة للعالم الاسلامى عداوة قديمة متغلغة فى الصدور ، وكذلك تقوم عداوة الصهاينة للمسيحية والمسيحيين .

فان المسيح عندما رآهم متكبرين جاء الى العالم فقيرا ، يحب الفقراء ، وينصر الضعفاء ، ويقتطع من الأغنياء ، ولما رآهم مفتخرين

بالمدينة العظيمة « أورشليم » وبهيكل سليمان تنبأ عن خراب أورشليم كما تنبأ عن خراب الهيكل .

ولما رآهم يفتخرون بكونهم أصحاب الشريعة والناموس وبخهم الله على انهم أفسدوا الشريعة والناموس ، وتقاليد آبائهم الأولين وقال لهم : انكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون » .

ولما رأى احتقارهم للعشارين قص عليهم مثل الفريسي والعشار والفريسي هو رجل يهودي متمسك متكبر ، والعشار فى نظره رجل سارق ظالم قال لهم السيد المسيح ان اثنين دخلا الى الهيكل ليصليا احدهما فريسي والآخر عشار ، أما الفريسي فوقف فى كبرياء وقال : « أشكرك يا رب انى لست مثل سائر الناس الظالمين الخاطفين الزناة ، أصوم يومين فى الأسبوع ، وأعشر جميع أموالى » أما العشار فوقف فى انسحاق قلب لا يجرؤ أن يرفع عينيه الى السماء وقرع صدره قائلا : « ارحمنى يا رب فانى خاطىء » فخرج هذا العشار مبررا دون ذلك .

وقد أراهم ان ذلك الفريسي المتكبر المفتخر بنفسه الذى يعتبر انه أفضل من غيره لا يمكن لمثل هذا أن تصل صلاته الى الله ، بينما قبلت صلاة العشار الخاطىء المنكسر القلب المتواضع أمام الرب . كل هذا ليريهم انه ليس بالعنصرية يخلص انسان ، لأنه يهودى ، وانما يخلص بالايمان السليم ، والأعمال الصالحة ، وبغير ذلك فيهوديته لا تنفعه شيئا .

وقد مدح السيد المسيح المرأة الكنعانية ، وبنو كنعان من العرب فقال لها « عظيم هو ايمانك » متى ١٥ : ٢٨

وقد وبخهم السيد المسيح بقوله : أقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ، ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات واما بنو الملكوت « اى اليهود » فيطرحون الى

الظلمة الخارجية ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . متى ٨ : ١١ ، ١٢ .

واستمطر المسيح عليهم وعلى جيلهم عاقبة شرورهم واثمهم وشرور آبائهم وآثامهم « لكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح » . « الحق أقول لكم ان هذا كله يأتى على هذا الجيل » متى ٢٣ : ٣٥ ، ٣٦ .

كما أشهد الجموع على معصية الجيل واصرارهم على المضى فى تمردهم وتنبأ بالعقاب الذى كان حريا ان ينزل بأورشليم وبخراب بيت الرب فيها « يا اورشليم يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين اليها ، كم مرة اردت أن اجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا ، هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » متى ٢٣ : ٣٧ ، ٣٨ .

ولم ينج المسيح من تعذيب اليهود له دون رحمة ودون شفقة ، اذ خرج اليهود ورؤساؤهم المسمون بالفريسيين وتشاوروا على السيد المسيح ليقتلوه متى ١٢ : ١٤ ، وذلك لان المسيح اغاظهم بقوله « بمن أشبه هذا الجيل ، يشبه أولادا جالسين فى الأسواق ينادون الى أصحابهم ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا ، ونحنا لكم فلم تلطموا » متى ١١ : ١٦ ، ١٧ .

وقد كشف السيد المسيح نواياهم الخبيثة وخططهم الغادرة ، وخداعهم وتضليلهم وزعمهم التقى وهم فى الضلالة يعمهون فقال لهم : من الثمرة تعرف الشجرة يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وانتم أشرار ، الانسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب ، يخرج الصالحات ، والانسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور متى ١٢ : ٣٣ ، ٣٥ .

وحفل الاصحاح الثالث والعشرون من « انجيل متى » بوصف رائع لليهود على لسان السيد المسيح فقد خاطب يسوع الجموع

قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لانهم يقولون ولا يفعلون ، فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم ، وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الأول فى الولائم ، والمجالس الأولى فى المجامع ، والتحيات فى الأسواق : وان يدعوهم الناس سيدى سيدى .

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تطوفون البحر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا .

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراءون لانكم تتقون خارج الكأس والصحفة وهما فى الداخل مملوءان اختطافا ودعارة ، أيها الفريسى الأعمى نق أولا داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجهما أيضا نقيا .

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لانكم تعشرون النعنع ، والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والايمان ، وكان يجب وينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ، أيها القادة العميان الذين يصفون البعوضة ويبلعون الجمل » .

وهكذا كان المسيح يرى اليهود قوما ظالمين لسوء أعمالهم وخسه تصرفاتهم فتأصلت العداوة فى نفوسهم حياله وحيال العالم المسيحى أجمع ومع ان الديانة المسيحية لا تضطهد اليهودية كدين سماوى . انما تنتقد أعمال الكذابين والمرائين فقد عملت الصهيونية على زيادة الجفوة بين المسيحية واليهودية كما حاولت استغلال وثيقة التبرئة من أجل تحطيم العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والعرب وقد صرح على أثر ذلك مصدر فاتيكانى بأن دولة الفاتيكان مهتمة جدا بالاحتفاظ بعلاقاتها الوثيقة مع المسلمين فى العالم

العربى وهى العلاقات المبنية على الفهم العميق المتبادل ، وبان دولة الفاتيكان برياسة البابا بولس السادس تقدر العرب تقديرا كبيرا ، وبان دولة الفاتيكان تؤيد حقوق اللاجئين الفلسطينيين العرب وتؤمن بشدة بأن هذا الشعب يجب أن يعود الى وطنه . وبأن دولة الفاتيكان تعتبر الصهيونية منظمة سياسية لها مطامع مؤذية ، ودولة الفاتيكان لا توافق على تصرفات الصهيونيين فى أنحاء العالم .

وأشار هذا المصدر الفاتيكانى الكبير الى وثيقة التبرئة عن المجمع المسكونى والتى تحدد علاقة الكنيسة المسيحية بالديانة اليهودية فقال : ان دولة الفاتيكان قد احتجت بشدة على اسرائيل عندما استخدمت هذه الوثيقة فى اذاعتها وصحفها لأغراض الدعاية ، وان فكرة هذه الوثيقة ليس لها أى هدف سياسى وانها لا تبرىء اليهود من مسئولية صلب المسيح .

وهكذا كانت الأديان لعبة فى أيدى الصهاينة من أجل تحقيق مطامعهم وتنفيذ خططهم فلا غرو ان يصف رب العالمين أجدادهم الأولين بقوله فى سورة الفاتحة « غير المغضوب عليهم » ، فقد أجمع المفسرون على أن المغضوب عليهم هم اليهود .

كما اشار الله عز وجل فى كتابه العزيز الى نفاقهم وريائهم ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ويدعون الناس الى الايمان وهم غير مؤمنين فقال تعالت صفاته وجلت آياته « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ، واستعينوا بالصبر والصلاة ، وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » ، سورة البقرة ٤٤ ــ ٤٦ .

ورغم ان الاسلام ينظر الى اليهودية نظرة سمحة كريمة لأنه دين لايدعو الى الاضطهاد ، ويكفل حق العبادة لغير المسلمين ، فان الصهاينة شنوا حربا شعواء على الاسلام والمسلمين ، وتبلورت هذه العقائد الدينية فى اتجاهاتهم السياسية ، حتى غدا الصراع

بينهم وبين العرب صراعا دينيا فى نظرهم يبذلون من أجله النفس والنفيس . بل انهم شعروا بأنهم جنس شاذ مفقود بين العالم المسيحى والعالم الاسلامى ، فلجأوا الى الرياء ، والنفاق ،ومداهنة القادة والزعماء ، من أجل اجتلاب العطف والرضاء ، والحصول على المنح والاعانات ، والتزود بالأسلحة والمعدات ، ووسيلتهم الى ذلك العطف والاستكانة ، والخضوع والركوع والزفرات والدموع .
كما ان وسيلتهم أيضا المال ، فالمال فى رأيهم المحرك الأول للشعوب ، ومتى قبضوا على أعنة الاقتصاد فى دولة من الدول استطاعوا خنقها اقتصاديا عند اللزوم ، كما أن وسيلتهم كذلك النساء ، فان المرأة تستطيع بما ملكت من أسلحة الجاذبية والاغراء ان تستولى على الأسرار وتقشع الاستار ، وتسرق مفاتيح الحصون ، وتقوم بدور كبير فى جمعية « عشاق صهيون »(●) .

● جمعية يهودية سبقت الحركة الصهيونية وكانت تهدف الى احياء اللغة العبرية والدعوة الى الهجرة الى فلسطين ، واستعمار اراضيها .

الفصل الثالث

زحف صهيونى

كانت جمعية « عشاق صهيون » ارهاصا للحركة الصهيونية الكبرى فقد عقدت مؤتمرين احدهما فى عـــام ١٨٨٤ والثانى بعد المؤتمر الأول بثلاث ســنوات أى فى عـــام ١٨٨٧ وتقــرر فى هذين المؤتمرين تمويل المهاجرين بالمــال لشراء أراض جــديدة ، وانشئت فروع كثيرة فى مختلف بلدان أوربا لهذه الجمعيــة فكان لهــا فرع فى روسيا وفرع فى رومانيا وفرع فى النمسا كما انشئت جمعيات اخــرى على غرارها منها جمعيــة « كاديناح » التى تولى رئاستها صحفى يدعى « بيرنوم » ويرجع اليه الفضل فى ابتكار الحركة الصهيونية ، اما فى المانيا فقد تكونت جمعية اخرى آزرت جمعيــة « عشاق صهيون » ، فى مهمتها برئاسة « ليوموتسكين » وكان من أعضــائها « حاييم وايزمان » الذى اصبــح فيما بعــد اول رئيس

لدولة اسرائيل . كما تألفت جمعيات أخرى فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية .

ثم عقد أول مؤتمر صهيونى عالمى لليهود فى مدينة « بال » فى سويسرة فى شهر أغسطس عام ١٨٩٧ وفيه وضع اليهود اسس المنظمة الصهيونية العالميـة وبرنامج الحركة الصهيونية التى تتمثل فى استعادة أرض الميعاد او مملكة اسرائيل بحدودها المزعومة . وقد قرر الصهيونيون على أثر ذلك المؤتمر ايقاظ الوعى القومى بين يهود العالم ، والقيام بالسعى لدى الحكومات المختلفة لتأييد كفاح اليهود لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية الكبرى التى يحلمون بها ويسعون اليها، ومنذ ذلك التاريخ أصبح لفظ «صهيونى» يطلق على كل من يعتنق المبادىء التى وضعت فى هذا المؤتمر ويكتتب سنويا بمقدار «شيكيل واحد» أى مايعادل نصف دولار .

وفى صيف عام ١٨٩٨ عقد المؤتمر الثانى فى مدينة « بال » أيضـا برئاسـة هرتزل وحضره ٣٤٩ مندوبا كان بينهم عـدد من رجال الدين اليهودى حتى يعطى هرتزل للمؤتمر طابعا دينيا ، ووقارا رسميا ، وأصـدر هذا المؤتمر مجموعة من القـرارات كان على راسها تأسيس شركة كبرى للاستعمار اليهودى فى فلسطين وتشجيع الجمعيات العاملة فى نشر اللغة العبرية بين يهود العالم . وقرر المؤتمر أيضا تنظيم الدعاية الصهيونية حيث أدرك أهميتها فى اقنـاع العـالم بوجهـة نظر المؤتمر ، وتركيز شراء الأراضى فى فلسطين وحدها مع بناء مستعمرات للعمال فيها .

وفى عام ١٩٠٠ عقـد المؤتمر الرابع برئاسـة هرتزل فى مدينة لنـدن حيث رأى المؤتمرون ضرورة استنهاض همة بريطانيا لتأييد الحركة الصهيونية ، وكيما تضغط على الدولة العثمانية من أجل تمكين اليهـود من شراء الأراضى فى فلسطين وقد اقـر هذا المؤتمر مشروعا بتأسيس الصندوق القومى اليهودى « كيرن كايمت » .

ثم اتصل هرتزل على آثر ذلك بالسلطان عبد الحميد ، وحاول أن يجلبه الى صفه بغية تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين وابتغاء اعطائهم نوعا من الاستقلال الذاتى بيد ان هرتزل فشل فى هذا المجهود اذ تنبه العرب لما يحيكه من مؤامرات فى الظلام من اجل الاعتداء على حقوقهم المشروعة فى فلسطين .

وتوفى هرتزل عام ١٩٠٣ وكادت الحركة الصهيونية تخمد انفاسها لولا أن الاستعمار أخذ يناصرها ووهب لها الحياة مرة أخرى .

وظهرت نوايا الاستعمار المنحازة الى اسرائيل فى شتى التصرفات الرسمية وغير الرسمية اذ قدم « هربرت سبنسر » من اقطاب الصهاينة الانجليز مذكرة الى الحكومة البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى وعرض فيها مشروعا لتأسيس دولة يهودية فى فلسطين تحت اشراف بريطانيا ، يأوى اليها ثلاثة أو اربعة ملايين من اليهود المشردين فى أوربا .

واتضحت نيات الاستعمار واضحة جلية للعيان فى هذه المذكرة التى ختمها الداعية الصهيونى « هربرت صمويل » بقوله :

« وبذلك نكون قد أقمنا بجوار مصر ، وقناة السويس دولة جديدة موالية لبريطانيا » .

واستطاع اليهود انتزاع وعد بلفور فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ بعد ما تمكن وايزمان بعد وفاة الداعية « هرتزل » من الاتصال بزعماء الانجليز ، وأقنعهم بأنهم اذا ما وعدوا اليهود بفلسطين لتكون وطنا قوميا لهم اجتذبوا لامحالة قلوب يهود العالم ، وقد يحدث يهود المانيا أمرا يرغمون فيه حكومة المانيا على انهاء الحرب أو التسليم .

والغريب ان لورد بلفور منح الوعد لليهود دون أى سند قانونى أو حجة مشروعة ، فلم تكن فلسطين من أملاك بريطانيا حتى يحق له أن يتصرف فيها فهو كمن يهب مالا ليس لديه فيه شىء !!

وجاء فى التصريح : « تعتزم الحكومة البريطانيـة اقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين وستبذل كل ما لديها من جهـود فى سبيل تحقيق هذه الغاية علما بأن حكومه جلالة الملك لن تقوم بشىء من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية فى فلسطين ، ولا بحقوق اليهود واوضاعهم السياسيـة الذين يعيشون فى أى بلد آخر » .

وبذلك اعطى من لا يملك وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان من لا يملك ومن لا يستحق بالقوه والخديعه أن يسلبا صاحب الحق الشرعى حقه فيما يملكه وفيما يستحقه .

وتلك كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى رسالته الى الرئيس الراحل جون كنيدى « وهى الصورة الحقيقية لوعـد بلفور الذى قطعته بريطانيا على نفسها وأعطت فيه من أرض لا تملكها وانما يملكها الشعب العربى الفلسطينى عهدا باقامة وطن يهودى فى فلسطين » .

وقد اذكى هـذا الوعد همة الصهـاينة وضاعف جهـدهم فى سبيل الصمود امام العرب .

وقد جرى حديث فى الرابع من ديسمبر عام ١٩١٨ بين اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا ووايزمان وصرح الأخير على اثره بقوله كما جاء فى مجموعة الوثائق الصهيونية التى عثر عليها :

« وقد بينت للورد ان اقامة مجتمع يضم اربعة أو خمسـة ملايين من اليهود منها ان ينتقلوا بطريق الاشعاع الى الأجزاء الباقية من الشرق الأدنى وان يسهموا اسهاما ضخما فى اعادة بناء تلك البلاد التى كانت مزدهرة فى يوم من الأيام » كما يمضى وايزمان قائلا للورد بلفور :

« لكن هذا العمـل يتطلب أول ما يتطلب تنمية الوطن القومى اليهودى فى فلسطين تنمية حرة وغير مقيدة بحيث تتمكن من اسكان

اربعة ملايين أو خمسة ملايين من اليهود فى فلسطين فى غضون جيل واحد ، فنجعل من فلسطين بلادا يهودية فى ظل التاج البريطانى » .

ثم يقول وايزمان بعد ذلك « وقد أقنعت اللورد بأن ما يسمى بالاستعمار ليس الا الصهيونية بعينها » .

ويشرح لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية فى تلك الآونة ، الظروف والملابسات التى أحاطت باعلان هذا الوعد Balfour Declaration فيقول « كان اعلان تصريح بلفور أمرا اقتضته موجبات الدعاية ، وكان الرومانيون قد سحقوا ، كما كانت معنويات الجيش الروسى قد أخذت فى الانحلال ، ولم يكن فى وسع الجيش الفرنسى وقتذاك ان يقوم بهجوم واسع المجال ، وكان الايطاليون قد فشلوا فشلا مروعا فى موقعة « كابوريتو » كما كانت الغواصات الألمانية قد اغرقت ما تبلغ جملته ملايين الأطنان من السفن البريطانية : ولم تكن الفرق الألمانية قد وصلت بعد الى الخنادق ، وفى تلك الساعة الحرجة ساد الاعتقاد بأن اكتساب عطف اليهود أو مناوآتهم قد يكون له أثره الفعال فى توجيه كفة الميزان ، نحو قضية الحلفاء أو ضدهم ، ثم ان عطف اليهود من شأنه على الأخص أن يضمن معاضدة اليهود فى أمريكا ، ويجعل من الصعب على المانيا تخفيف قواها العسكرية ، وتحسين وضعها الاقتصادى فى الميدان الشرقى .

وأضاف رئيس الوزارة البريطانية قائلا : «ان الزعماء الصهاينة قطعوا لنا وعدا أكيدا قال انه اذا اخذ الحلفاء على عاتقهم تسهيل انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين فانهم سيعملون كل ما فى وسعهم لايقاظ عاطفة اليهود فى كافة أنحاء العالم وتأليبهم لمعاضدة قضية الحلفاء ، وقد بروا بوعدهم هذا » .

كما صور أرنولد توينبى فى كتابه « دراسة فى التاريخ » هذه الظروف التاريخيه بقوله : لقد أظهرت الحرب العالمية الأولى عاملا سياسيا فى الميدان وهو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية ، فان كسب التأييد اليهودى بل وأكثر من ذلك تجنب العداوة اليهودية كان أمرا على جانب عظيم من الأهمية للفريقين ومع ان تحرر اليهود النفسى من منفاهم فى الغرب لم يكن قد تم ، فان تحررهم الاقتصادى والسياسى فى ذلك الوقت كان قد قطع شوطا بعيدا فى تقدير أصوات اليهود ومنحها وزنا هاما بل وربما حاسما فى ميزان القوة الدولى المضطرب .

لقد اصبح اليهود الآن قوه يحسب حسابها فى الحياة السياسية القومية لدى دول وسط أوربا وغربها على السواء وفى الولايات المتحدة كانت قوتهم لا تزال على مدى أوسع كثيرا ، وقد بلغ نفوذ يهود امريكا حدا عظيما فى أعين المتحاربين فى أوربا الذين بدأوا يتحققون ان الكلمة الأخيرة فى النزاع ستنطق بها أمريكا وأن هذه الكلمة الامريكية الأخيرة قد تتأثر بصورة ملحوظة بآراء المواطنين من يهود أمريكا .

هذه هى الظروف التى أحاطت بصدور وعد لورد بلفور لليهود : وعندما وضعت الحرب العالميه الأولى أوزارها فى ١١ نوفمبر عام ١٩١٨ وأسفرت عن انتصار بريطانيا وحلفائها بدأت الدول الكبرى فى عملية توزيع الغنائم وتقسيم التركة ومناطق النفوذ ، وحضر أمام مؤتمر الصلح وفد يهودى كان من بين أعضائه البارزين حاييم وايزمان الذى أعلن صراحة عزم اليهود على اقامة وطن قومى لهم فى فلسطين .

وفى ابريل عام ١٩٢٠ وقعت فى سان ريمو معاهدة الصلح مع تركيا وادمج فيها وعد بلفور حيث اعتبر جزءا لا يتجزأ من المعاهدة . وكان أول عمل أقدمت عليه بريطانيا هو تعيينها هربرت صموئيل مندوبا ساميا على فلسطين فى يوليو عام ١٩٢٠ فتسلم

الادارة فى ظل الحكم العسكرى . وظل ينفذ المخططات الصهيونية على أوسع نطاق .

واعتبر هربرت صمويل اللغة العبرية لغة رسميه بالاضافة الى الانجليزية والعربية كما سهل الهجرة الى فلسطين فكان اليهودى يتسلم جواز سفر فلسطينيا وهو لا يزال فى المانيا او بولندة او امريكا ويستطيع أن ينتقل بمقتضى هذا الجواز الى فلسطين حتى يغدو فلسطينيا . كما سهل لليهود شراء الأسلحة واقتطاع الأراضى وأسس الوكالة اليهودية واعتبرها ممثلة لليهود وناطقة باسمهم وكانت فى واقع الأمر حكومة يهودية ذات أجهزة كاملة .

وقد استمر انتداب هربرت صمويل خمسة أعوام قدم فى نهايتها تقريرا مفصلا عما انجزه من أعمال فى صالح اليهود ومنها ان الأراضى التى كانت فى حوزة اليهود قد تضاعفت مساحتها وانه سمح بانشاء شركة كبرى برأسمال قدره مليون جنيه لتوليد الكهرباء .

وبعد انتهاء فترة انتداب المندوب السامى هربرت صمويل تعاقب عدد آخر من المندوبين السامين الذين كان هدفهم الأول والأخير هو تهويد فلسطين بأدق معانى هذه الكلمة ، وأوسع مدلولات هذا اللفظ .

وقد ثار الشعب العربى فى فلسطين من جراء هذه المؤامرات على حقوقه وقامت مظاهرة حامية فى القدس فى ابريل عام ١٩٢٠ كما اندلعت ثورة أخرى فى يافا فى مايو عام ١٩٢١ واستمرت أسبوعين وانقض العرب خلالها على مركز الهجرة الصهيونى وعلى بعض المستعمرات اليهودية بين يافا وطولكرم .

وفى ٢٣ أغسطس عام ١٩٢٣ شبت ثورة عارمة استمرت خمسة عشر يوما واشتد غضب العرب وهم يرون أفواجا تلو افواج تصل الى فلسطين من يهود المانيا وأوربا الشرقية .

واشتدت ثورة غضب الشعب العربى فى المظاهرة الكبرى التى وقعت فى القدس بعد صلاة الجمعـة فى يوم ١٣ أكتوبر عام ١٩٣٣. وقد ظلت هذه الثورة ستة أشهر كاملة ، واستشهد فى هذه الفترة أكثر من الف شهيد .

وقد أعلنت انجلترا انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين كما قـــررت الانسحاب منها فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ بعد أن مكنت اليهود من احتلال معظم مدن فلسطين ومساحات شاسعة من أراضيهـا زادت كثيرا عن الأراضى المخصصـة لليهـود فى قـــرار التقسيم . وعلى أثر ذلك أعلن اليهود انشاء دولة اسرائيل وسرعان ما اعترفت الولايات المتحدة الامريكية بانشائهـا وقال الرئيس الامريكى هارى ترومان عقب اعـــلان دولة اسرائيل « انى أتقدم الى العالم بشعب يستأهل الحرية والحيـاة اننا نعترف باسرائيل ونفخر باننا كنا أول من مد لها يده ، واقنعنا الأمم المتحدة بوجوب اقـرار مبـدأ التقسيم ، اننا نوافق على اسرائيل بحدودها التى عينتها الأمم المتحدة فى قرارها ، ونرى انه لا يجوز تعديل هـذه الحـدود الا بموافقة اسرائيل ، اننا نتطلع الى اليوم الذى تجلس فيه اسرائيل معنا فى الأمم المتحدة ، ونأخـذ على عاتقنا مساعدتها فى النهوض باقتصـادها ونود أن نعيد النظر فى أمر حظر الأسلحة حتى نهيىء لاسرائيل فرصة الدفاع عن النفس ، اننى أعاهد نفسى على شـد أزر اسرائيل حتى تصبح بلدا كبيرة حرة مستقلة قادرة على كفاية نفسها » .

وغنى عن البيان ان الولايات المتحدة الامريكية كانت ملتزمة بتحقيق ذلك كله لاسرائيل ، وقد وفت بوعدها ازاء اسرائيل وقد كتب الاستاذ عباس محمود العقاد على أثر ذلك يقول « لقد اعترف الرئيس ترومان باسرائيل قبل أن ينقضى ربع ســاعة على اعلانها : وكانت دولة لاتعرف لها حدود ولا رعية ونحن نعتقد أن « ترومان » يهودى أصيل وليس قصارى الأمر انه نصير محب

لليهود ، نعتقد ذلك ونستند فيه الى قرائن قوية يشف عنها اسمه وأسماء أسرته كما تشف عنها نشأته وبعض أخباره التى دونها مترجموه . فاسم ترومان من أسماء اليهود الأولى ، واسم ترومان الأول هارى ، واسم جده سولمون ، واسم جـدته لأمه هاربيت ٪ وكانت تسمى ذات الرأس الأحمر وهو لون من ألوان الشعر يكثر عند اليهود .

واسم زوجته بيس Bess وهو ترخيم الياصبات فى أسـماء التوراة ، واسم أبيها ديف Dave وهو ترخيم دافيد ، وقد كان عمله قبل العشرين « مسك الدفاتر » وكان شريكه فى الكانتين الذى اداره يهوديا يسـمى « جاكبسون » وقـد ترجم حياته اثنان فى كتاب سمياه « هذا الرجل ترومان » فقالا فى أخبـاره ان أحب أسـفار التوراه اليه سفر الخروج وهو الذى يعتبره اليهود كتاب الخلاص ويجعلون الخروج من مصر لهذا السبب أكبر الأعياد » .

ووقفت خلف ترومان جمعيات يهـودية كثيرة اعلنت اعترافها بالدولة الجديدة ، وقدم اليها كثير من أثرياء امريكا الاعانات والهبات وطاف عدد كبير من الفنانين يجمعون الاكتتابات لاسرائيل .

واجتمعت على أثر ذلك اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وأصدرت قرارا فى ١٢ ابريل ١٩٤٨ بالتدخل بالجيوش العـربية لانقاذ فلسطين ، وحددت يوم ١٥ مايو يوم اعلان انشاء اسرائيل موعدا لحركة هذه الجيوش .

ونشب قتال مرير بين العرب واليهود ، وكانت الجيوش العربية قاب قوسين أو أدنى من تل أبيب لولا تدخل مجلس الامن بايعاز من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وقرر ايقاف اطلاق النار بين الطرفين المتحاربين .

وقد قامت اسرائيل بخرق شروط الهدنة بين العرب واسرائيل مرات متوالية وعززت اسرائيل قواتها العسكرية وجلبت الكثير

من المتطوعين والجنود المحترفين واستؤنف القتال مرة اخرى ، ثم تقرر ايقاف اطلاق النار ، حتى تم توقيع هدنة دائمة مع اليهود لم يحترم الاسرائيليون نصوصها بل أهدروا موادها بخستم وعدوانهم .

وقد كتب الرئيس جمال عبد الناصر فى مذكراته أثنـاء حرب فلسطين ما يلى :

« كانت شعوبنا جميعها تبدو فى مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة اخفت عنها عمدا حقيقة ما يجرى وضللها حتى عن وجودها نفسه ، وكنت موقنا من أن الذى يحدث لفلسطين كان يمكن أن يحدث لأى بلد فى هذه المنطقة ما دام مستسلما للعوامل والعناصر والقوى التى تحكمه الآن . ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك فى فلسطين وعدت الى أرض الوطن كانت المنطقة كلها فى تصورى قد أصبحت كلا واحـدا ، وايدت الحوادث التى جرت بعد ذلك هذا لاعتقـاد فى نفسى ، كنت أتابع التطورات فيهـا فأجـده اصـداء تتجاوب مع بعضها البعض ، فالحادث يقع فى القاهرة فيقع مثيل له فى دمشق غدا ، وفى بيروت وعمان وبغداد وغيرها ، ومن هنـا جاز لنا القول ان فلسطين كانت عاملا فى بعث القومية العربية » .

وهذه الحقيقة التى أوضحها جمال عبد الناصر هى التى أقلقت مضاجع اسرائيل وجعلتها تفكر فى أمر هذا التيار الجارف وهذا السيل العارم الذى تدفق بين الشـعوب العربية وهو القومية العربية . التى ابت الذلة والاستكانة وتطلعت الى يوم الخـلاص وساعة التحرير بصبر وشوق شديد .

الفصل الرابع

محاولة تحطيم القومية العربية

قلت فى مطلع هذا الكتاب أن حرب يونيو لم تكن حربا عفوية جاءت مصادفة واعتباطا كما نشبت قدرا وقضاء ، انما كانت حربا مدبرة ترمى الى أهداف بعيدة ، وتستهدف الى تحقيق نوايا خبيثة. ونضيف هنا ان هذه الحرب حاولت أن تقضى على تكتل الشعوب العربية فى هذه المنطقة من العالم واعنى بها منطقة الشرق الاوسط كما حاولت أن تثير جفوة بين البلاد العربيــة ، وتقيم خلافا كبيرا بين قادة وساسة هذه البلاد ، وغاب عن اسرائيل فى عدوانهــا أن القومية العربيــة حقيقة واقعــة منذ فجر التــاريخ لا سبيل الى تجاهلها او انكارها ، والروابط التى تربط الامة العربية منذ القدم وثيقة العرى ، وهناك مقومات مادية وهى البيئة الجغرافية والجنس والمكان ، ومقومات معنوية وهى اللغة والعادات والتقاليد والحكومة والدين . وقد كانت اللغة العربية ولا تزال رابطة متينة تدعم القومية

العربية كل التدعيم ، فبها نزل القرآن الكريم ، وبها كتب تاريخ العرب ، وبها نظم شعراء العرب منذ أعمق العصور الجاهلية أشعارهم وخطب خطباؤهم ، ونثر كتابهم ، وحررت مؤلفاتهم وقد سهلت وحدة اللغة التفاهم بين الشعب العربي في الوطن العربي كله .

وقد كانت في سويسره ثلاث لغات كما كانت في بلجيكا لغتان ، فكان هذا الاختلاف اللغوى مدعاة لانهيار القوميات في تلك البلاد على العكس من الأمة العربية التي سادت فيها اللغة العربية ، الفصحى ، فكانت اللسان الناطق بمشاعرهم وخواطرهم وأفكارهم وكانت لهم ثقافة واحدة .

وللقومية العربية امتياز على القوميات القديمة العهد كالصينية والهندية وذلك أن هاتين القوميتين تنقصهما الوحدة التي تمتاز بها القومية العربية من ناحية اللغة على الأقل اذا لم نقل من ناحية طراز التفكير والشعور العام الاجتماعي ايضا .

وقد استطاعت اللغة العربية أن تنتصر على كل اللغات المنتشرة في العالم العربي بعدما كانت الدواوين تكتب باللغة اليونانية أو القبطية في مصر ، كما كانت تستخدم اللغة اليونانية في الشام واللغة الفارسية في العراق ، واصدر الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان أمرا باستخدام اللغة العربية في شتى أعمال الدواوين فكان هذا الامر سببا في توطيد اللغة العربية في اركان الوطن العربي كما دفع الناس الى تعلمها ودراستها لأن كل فرد يتصل بأى نوع من انواع المعاملة مع دواوين الدولة سواء في بيع أو شراء ، أو وقف أو ما الى ذلك فكان يرى أن من الضرورى تعلم هذه اللغة حتى يستطيع أن يساير ركب القومية العربية من جهة ويفهم ويتعامل مع المسئولين من جهة أخرى .

وقد كان لانتشار اللغة العربية أثر كبير في تثبيت دعائم القومية العربية فوق أن الجنس البشرى الذى انتشر في شتى أرجاء الوطن

العربى جنس واحد ، وقد تبعت الحملات التحريرية العربية هجرات متواصلة ، وقد استقرت هذه الهجرات فى مصر والشام وفى غيرهما من الاجزاء فى شمال افريقيا ، وانساحت فى مختلف انحاء الوطن العربى ، وكانت هذه الوفود المهاجرة تستقر فى جوانب الوديان الخصيبـــة ثم لم تلبث أن توغلت فى هـــذه الوديان واندمجت مع الأهالى ، وتزاوجت وتناسلت وكثرت أعدادها بصورة واضحة .

ورغم ان العرب فتحوا فارس وما يليها شرقا ، فان فارس لم تصبح ارضا عربية ، انما وقفت الحدود العربية عند العراق وخليج البصرة شرقا ، والمحيط الاطلسى غربا ، وقد فتح العرب الأندلس وجــزر البحر الأبيض المتوسط بيــد أن هذه البــلاد لم تصبح ارضا عربية لأن الهجرات التى خرجت من الجزيرة العربية سكنت العراق والشام ومصر وما يليها غربا ، ولكنها لم تتقدم لتسكن فارس وما يليها شرقا فى مثل الصورة التى تمت فى البلاد العــربية .

وقد مر الوطن العربى كله بمحن وارزاء متشابهة وخاض كفاحا مريرا ضـــد الاستعمار واعوان الاستعمار حتى استطاع أن يخرج من هذه الأزمات مرفوع الراس موفور الكرامة .

وفى القرن الثانى عشر الميلادى انتصر عماد الدين زنكى ومن خلفه الأمة العربيـــة جميعا على الصليبيين فى عام ١١٤٤ م وردهم عن امارة الرها التى كانت من امنع الحصون الصليبية كما انتصر صلاح الدين الايوبى فى يوليو عام ١١٨٧ م على الصليبيين فى معركة حطين انتصارا كبيرا ، واستطاع ان يعيد بيت المقدس ولكنــه عندما دخل بيت المقدس فى ٢٧ رجب عام ٥٨٣ هـ لم يســتخدم القوة ولا الارهاب ، انما عامل أهل المدينة معاملة طيبة كريمة ليس فيها عنف ولا ضغط ولا اكراه ، حتى كتب « ونسمان » فى كتابه عن الحروب الصليبيـــة أن صلاح الدين صـــادف عند دخول بيت

المقدس عددا كبيرا من النساء آتين اليه والدموع تملأ عيونهن ، وطلبن منه الرحمة بهن ، وسألنه كيف يصنعن وقد قتل أزواجهن او آباؤهن أو وقعوا فى الاسر ، فأخذت الشفقة قلب صلاح الدين وأمر باطلاق سراح كل زوج أسير ، أما الارامل واليتامى فأمر بصرف اعانات لهن تتناسب مع مكانتهن الاجتماعية ، على أن تكون هذه الاعانات من حر ماله .

ويؤكد « ونسمان » ان عطف صلاح الدين وعفوه كانا يتباينان تباينا واضحا مع تصرفات الصليبيين فى حملتهم الشعواء .

ولقد كان انتصار صلاح الدين يعزى الى تكاتف العرب وترابطهم فى شتى انحاء الوطن العربى ، بل ان الملك الناصر فرج فى مصر هرع لنجدة أهل الشام ضد تيمورلنك فيما بعد ، مما يؤكد ترابط الوطن العربى فترة طويلة من تاريخه .

وفى معركة « عين جالوت » التى تمت فى ٣ سبتمبر عام ١٢٦٠ انتصر العرب ضد التتار انتصارا مبينا بفضل تعاونهم فى رد العدو الغاصب خلف قائدهم الظاهر بيبرس .

وفى العصر الحديث مر الوطن العربى بنفس المحنة التى ابتلى بها فى القرون الوسطى . فمنذ ان تأسست شركة الهند الشرقية وانشأت ثغر « سورات » على ساحل الهند الشمالى الغربى ثم وضعت انجلترا ايديها على الهند بدأت تفكر فى الوطن العربى وتعتبره طريقا مؤديا الى مستعمراتها ولقمة سائغة تستولى على خيراتها فشنت حملة فريزر المعروفة على مصر عام ١٨٠٧ بيد أنها باءت بالخسران العظيم بعد ما واجهت خسارة فادحة فى الأرواح والأموال ووقف الشعب المصرى أمامها وقفة بطولية مشهورة فى التاريخ ، ثم فكرت فرنسا فى أن تجرب حظها وتحقق أحلام الامبراطورية التى تراودها ، وأرسل نابليون بونابرت حملته على البلاد بيد أن

القاهرة ثارت فى وجهه مرتين ، واندلع من القاهرة لهيب الثورات حتى اجتاح الوجه البحرى كله ، والوجه القبلى برمته ، وسارع الأطفـال والنسـاء الى حمل الأسلحة والبنـادق والهراوات بجانب الرجال والشباب حتى انتهى الأمر برحيل الحملة من مصر مخذولة مدحورة .

ثم سارع الانجليز باحتلال بعض المواقع العربية التى تحمى امبراطوريتهم فى الشرق ، فاحتلوا المدخل الجنوبى للبحر الأحمر واستولوا على جزيرة « بريم » وميناء عدن عام ١٨٣٩ ثم فرضوا حمايتهم بالتدريج على تلك المناطق التى أطلقوا عليها المحميات . كما ضغطوا على أمير مسقط لتوقيع معاهدتين عام ١٧٩٨ وعام ١٨٠٠ وأقاموا لهم وكالة سياسية فى بغـداد عام ١٧٩٨ ثم احتلوا مصر عام ١٨٨٢ واحتلوا السودان باسم الحكم الثنائى عام ١٨٩٩ .

ولما قامت الحرب العظمى الاولى عام ١٩١٤ أعلنت انجلترا الحماية على البلاد كما أعلنت حمايتها على الكويت والمناطق المحيطة بالخليج العربى بعد أن بدأت تباشير البترول تظهر فى هذه المناطق وعقدت انجلترا معاهدة حمـاية مع الكويت عام ١٩١٤ ومع نجـد عام ١٩١٥ ، ومع قطر عام ١٩١٥ .

وفى نفس الوقت كانت فرنسا تسعى الى تحقيق حلمها الكبير بتأسيس امبراطورية فى الشرق فقامت باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠ وتونس عام ١٨٨١ واحتلت ايطاليا ليبيا عام ١٩١١ ومن أجل أن تتم المؤامرة ولا تثار الفتن ولا القلاقل .. ومن أجل أن تنشب يد الاسـتعمار أظافرها فى فريستها دون مضايقات عقـدت فرنسا وانجلترا اتفاقا ثنائيا عام ١٩٠٤ على تقسيم الغنائم بين الطرفين فلا تعرقل فرنسا الاحتلال الانجليزى لمصر فى مقابل اعتراف انجلترا بفرض سيطرتها على المغرب .

ومنذ ذلك التاريخ اخذ العالم العربى يمتحن بنفس المحنة ضد قوى الطغيان ، والاستعمار وأعوان الاستعمار ، وبدأ الشعب كفاحه المتصل بالعرق والدم والدموع دون تلكؤ أو احجام ودون ضعف أو تهاون .

وصاحبت الحركة التحررية حركة فكرية ممتدة ، وظهرت طائفة من المفكرين الاحرار فى الوطن العربى منهم جمال الدين الأفغانى والامام محمد عبده ، وعبد الرحمن الكواكبى مؤلف مصارع الاستبداد ، وأم القرى .

كما ظهر فى الوطن العربى ابطال يدافعون عن حقوقه ويكافحون عن عروبتهم نذكر منهم السيد عمر مكرم الذى وقف امام الفرنسيين فى مصر ، والامير عبد القادر الجزائرى الذى هب مع الشعب العربى فى الجزائر لمقاومة الاستعمار ، وطفقت السنوسية تقوم بحركة واسعة لتعبئة قوى العرب ضد الاستعمار ، واصطدمت بالفرنسيين ثم الايطاليين فلم تلن لها قناة ، ولم يهن لها عود ، حتى أعلنت ليبيا استقلالها منذ سنوات ، وكذلك ظهرت فى بلاد العرب ، وكانت تهدف الى رد الاستعمار عن الوطن العربى .

ثم قامت فى مصر حركة قومية عام ١٩١٩ هزت أركان الوطن ، وامتدت شرارتها الى كافة البلاد ، وهب المصريون قوة واحدة وقاموا قومة رجل واحد فى وجه الاحتلال ، وامتد أثر الثورة الى البلاد العربية جميعا فاشتعل أوارها ضد الاستعمار ، واعوان الاستعمار .

وأخذت الثورة تتبلور حتى حملت طابعها الجديد فى ثورة ٢٣ يوليو كما قامت فى سوريا فى عهد الانتداب الفرنسى حركات ثورية كثيرة ، وكذلك قام لبنان بوثبة كبرى ضد الفرنسيين وخضعت

سوريا ولبنان للاحتلال أثناء الحرب العالمية الأخيرة ثم أتاح لها القدر ان تنتصر وأن تعلن استقلالها بفضل جهاد ابنائها الابطال

وتمت بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ الوحدة التى املتها ارادة الشعب فى كل من البلدين والتى كانت استمرارا للتعاون المتصل بين البلدين ، وللانتصارات المشتركة للقوات المصرية والسورية التى تمت ضد قوات المغول بقيادة هولاكو عام ١٢٦٠ م وضد الصليبيين فى ميناء عكا عام ١٢٩١ م .

وبتكوين الجمهورية العربية المتحدة ولدت دولة كبرى فى المنطقة تضم نحو ٣٠ مليون مواطن ، وبذلك ظهر بطلان دعوى الغرب فى وجود الفراغ ، وهى تلك الدعوى التى اتخذها ذريعة للتدخل ، وتولد ايمان عميق لدى الشعوب بأنها قادرة على الدفاع عن نفسها ضد اى اعتداء ، وان تنتهج فى نفس الوقت سياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز .

وهى دولة كبرى فى الشرق الاوسط ليست دخيلة فيه ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعدية ، دولة تحمى ولا تهدد وتصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق وترد كيد العدو ، لا تتحزب ولا تتعصب ، لا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العزم وتدعم السلام ، توفر الرخاء لها ولمن حولها وللبشر جميعا .

بيد أن الانفصاليين عملوا على تفتيت كيان الوحدة وفى غفلة من الزمن نجحت الحركة الانفصالية ، غير أن ارادة الشعب العربى فوق كل ارادة وان رغبة الشعوب فى انجاز الوحدة أمر محتوم ولا مرية فيه مهما طال الزمن واختلفت الأوضاع .

وقد روعت اسرائيل من ذلك التطور السياسي الرهيب الذى

عم البــلاد العربيـــة جميعا فأعلن استقلال السودان ، كمــا اعلن استقلال المغرب والجزائر وتونس ، وتقوض النظام الملكى فى اليمن بعد أن فاحت أوباؤه وأدرانه فى شتى أنحاء العالم العربى ، وكذلك انتهى عهد الملكية فى العراق وأعلن النظام الجمهورى ، وســـقط قاسم العراق بعد ان انتفض الشعب العراقى انتفاضته الكبرى ، وقضى على هؤلاء القادة الذين حاولوا أن يحيلوا مكاسب الثورة فى العراق الى مكاسب شخصية ومنافع خاصة ذاتية .

وهكذا انتفض المارد العربى واخذ يحتل مكانه اللائق به تحت الشمس فى القرن العشرين ، وحطم قيود الاستعمار بعدما امتحن بتاريخ سياسى وحضــارى واجتمــاعى واحــد ، وصقل بتجارب متشــابهة .

ورغم أن الاسلام كان دين الغالبية من أبناء الوطن العربى فانه لم يكن وسيلة للاستعلاء أو الاستبداد بالأديان الأخرى ، انما نادى بالتسامح والاخاء مع الاديان الاخرى ، وكانت البلاد العربية فى الحقيقة منبعا للأديان السماوية كلها ، ويستوى فى اطار القوميــة العربية أى دين من الأديان .

وقد استغل الاستعمار الاختلاف الدينى بين ابنـــاء الوطن العربى ليثير التفرقة والقطيعة ، ويفت فى عضد الامة العربية ، وفكر الانجليز عند احتـــلالهم مصر فى القرن التاسع عشر أن يؤسسوا دولة قبطية فى الصعيد ، كما ثارت جفوة بين المسلمين والاقباط ، واخذ الفريقان يتراشقان التهم ، وعقدت المؤتمرات من أجل ذلك ، بيد أن هذه الخلافات كلها ذابت فى سبيل الوحدة والمحبة ، كما تحطمت كل هذه المنازعات على صـــخرة العروبة الشـــماء .

وعندما تولى أمر الامة العربية خليفة دينى عثمانى باع الامة العربية للاستعمار ، ولذلك رفض العالم الاسلامى فكرة الجامعة الاسلامية التى نادى بها السلطان عبد الحميد ، وانضم العرب الى جمعية الاتحاد والترقى التى قضت على السلطان عبد الحميد وعلى فكرته فى الجامعة الاسلامية فى عام ١٩٠٨ ، ١٩٠٩

ولكن رفض العرب لفكرة ارتباط السلطة الدينية بالسلطة الزمنية ليس معناه عدم الاحتفال بالدين فقد كان الدين ولايزال شيئا مقدسا لدى العرب بل ان التسامح وحرية العقيدة من شعائر الاسلام ، ومن اخلاق السلف الصالح اذ اختفى البطريرك بنيامين عشرين عاما بأحد الاديرة هربا من الرومان وظلمهم واضطهادهم فلما جاء العرب ردوا له اعتباره ، ونصبوه مرة أخرى فى منصبه وفى كنيسة بيت المقدس رفض عمر بن الخطاب ان يحول الكنيسة الى مسجد مخافة ان يظن المسيحيون انه لم يحترم شعائرهم الدينية ومعابدهم المقدسة ، كما استخدم صلاح الدين وكان حربا عوانا على الاستعمار الذى شنه الصليبيون كاتبا مسيحيا له هو ابن مماتى الذى دون ذكرياته معه ، فى كتاب حفظه لنا التاريخ .

وفى العصر الحديث كانت الخلافات كلها تذوب ، وتبقى مصلحة العروبة فوق كل شيء .

ورغم أن الدين والجنس ــ رغم توحدهما [illegible] الوطن العربى ــ لم يكونا من مقومات القومية العربية فان طبيعة الوطن العربى أملت عليه الترابط والوحدة ، ان عاملا [illegible] الجيولوجية القديمة التى شملت معظم الوطن العربى [illegible] بالعوامل الظاهرية والباطنية فتكونت منها هضبات متوسطة الارتفاع تتخللها وديان وسهول واحواض داخلية ، ويتشابه المناخ تشابها كبيرا بين شطرى الوطن العربى الآسيوى والافريقى ، أما الحرارة فتكاد تكون متشابهة

فى الشتاء وتبلغ درجة الحرارة فى شهر يناير ١١ م فى مدينة الرباط و ٥ر١١ فى الجزائر ، و ١٠ فى تونس ، ٥ر١١ فى الاسكندرية أما فى الصيف فتزداد الحرارة وتبلغ فى شهر يوليو ٢٨ فى المغرب ، و ٢٥ فى الجزائر ، و ٥ر٢٦ فى تونس ، و ٢٦ فى الاسكندرية .

والنبات فى الوديان واحواض الانهار فى الوطن العربى يكاد يكون متشابها وكذلك الحال بالقياس الى النبات فى الصحراوات ، ويشتهر العالم العربى بالقمح والبرتقال والورد والرياحين وازهار الربيع .

وهكذا كانت وحدة الجغرافيا الطبيعية للوطن العربى وحدة حقيقية وهى وحدة التصاق واشتراك وتشابه وتدرج ، وكل هذه العوامل تدعم قواعد القومية العربية وتكون شوكة فى جنب أعداء العروبة .

وينشأ عن هذا كله مجتمع عربى يشترك فى تراث اجتماعى يتكون من الثقافة والحضارة ، ونقصد بالثقافة جميع العناصر الروحية أو العناصر غير المادية من دين وعقائد ونظم اجتماعية فى الأسرة والتقاليد ، والعادات والمثل والأخلاق كما نقصد بالحضارة مظاهر العمران المدنى والتقدم فى ميادين الحكم والسياسة .

وقد ساهم العرب جميعا فى بناء المساجد فى البصرة والكوفة وبغداد ودمشق والقاهرة وتونس والقيروان ، وامتلأت كل مدينة برجال العلم والثقافة ، وأصحاب الحرف والفنون ، بل لقد كان العرب يشتركون فى سرائهم وضرائهم وحروبهم ومعاركهم ، وليس أدل على ذلك من تناصر العرب جميعا أثناء الحروب الصليبية ضد الغرب ، وتكاتفهم وتآزرهم ضد المغول ، بل ان العلامة ابن خلدون خرج من المغرب ليشترك فى مفاوضة تيمورلنك عندما غزت جيوشه الشام ، واستولت على البلاد ، فقد أبدى ابن خلدون ، فى مفاوضاته

مع تيمورلنك شعورا صـادقا لا يختلف فى قليل أو كثير عن شعور المواطن العربى فى العالم العربى كله ، فالقومية العربية كانت تربط العرب فى المغرب والمشرق برابطة قوية لا انفصام لها .

ونحن فى الوطن العربى اذا ما سرنا شرقا حتى ايران ، أو غربا حتى أسبانيا لا يشعر السائر انه غريب فى أى مجتمع يسير فيه أو يتوغل فى دراسته اذ أن الاطار العـام للحياة الاجتمـاعية مشترك لا يتغير . وهذا الاطار الموحد الذى ينتمى الى مجتمع عربى عام هو ما نطلق عليه القومية العربيـة وقد عاشت المـدينة ومكة ودمشق والبصرة والكوفة ، وبغداد ، والقاهرة طيلة التاريخ العربى تحمل مشاعل الحضـارة بالتناوب ويلتقى عندها كل عربى ، ويهرع الى ساحتها كل عربى ينضوى تحت لواء العروبة الخفاق .

وجمعت وحـدة الحس والشعور ، ووحـدة المثل والأهداف العرب جميعا لمقـاومة العـدو المشترك وبذل كل مرتخص وغال فى سبيل الانتصار ولم يعد أحد يقول لعربى فى الشام أو العراق أنت بابلى أو سريانى أو أعجمى انما ذابت كل هذه الأسـماء فى خضـم القومية العربية الجارف .

وقد أصبح واضحا للعيان أن القـاهرة هى حاملة لواء القومية العربيـة وأن هذه القيـادة أصبحت شوكة فى جنب اسرائيل تقض مضجعها وتقلق راحتها ، وقـد أشـار السـيد الرئيس جمـال عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » الى هذه الحقيقـة فقـال « لم يعد مفـرا امام كل بلد من أن يدير البصر حوله خارج حـدود بلاده ، ليعلم من اين تجيئه التيارات التى تؤثر فيه ، وكيف يمكن أن يعيش مع غيره ، ان واجب كل دولة أن تدير بصرها حولها لتبحث عن وضعها وظروفها ، وما هو مجالها الحيوى وميدان نشاطها ، ودورها الايجابى فى هذا العالم المضطرب ، وانى لاستعرض ظروفنا

فأخرج بمجموعة من الدوائر لا مفر من أن يدور عليها نشاطنا ، وما من شك فى أن الدائرة العربية هى أهم الدوائر وأرفقها لنا ، وقد امتزجت معنا بالتـــاريخ ، وعانينا معها نفس المحن ، وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك الغزاة كان كل العـــرب تحت نفس السنابك » .

وفى كل ثورة تحريرية قام بها الشعب العربى ضـــد الاستعمار وازالة الحكم الفاسد كانت القومية العربية وقود هذه الثورات ، وكان الوطن العـــربى كالجسد الواحد اذا أصيب عضو من أعضائه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولقد وقف الرئيس جمال عبد الناصر وقفات مشهودة حيال كل ثورة على الرجعية والاستعمار فقال فى ثورة العراق « اننا نعتبر هذه الثورة تمثل أمانينا ومشاعرنا بل تمثل أمانى القومية العربية فى الوطن العربى كله ، ففى هذه الثورة شعر كل مواطن وكل عربى بعزته الحقيقية وكرامته الحقيقية » .

وقال فى ثورة لبنـــان « لقد انتصر شعب لبنان فى ثورته وحقق لنفسه أكبر شىء حقق العزة والكرامة وتخلص من مناطق النفوذ ، ولم يعد لبنان قاعدة للاستعمار أو مكانا يتآمر فيه المستعمرون ضد اخوانهم العرب أو ضد الوطنيين فى لبنان » .

وقال فى الثورة السودانية « لقد قامت هذه الثورة من أجـــل مصلحة السودان والمحافظة على سيادته وحريته وبقائه خارج مناطق النفوذ الأجنبى .

وقد انتصرت القومية العربيـــة فى ميادين الكفاح ، انتصرت فى الجـــزائر وكتب الجزائريون استقلالهم بالمـــداد يوم الاستفتاء بعد

ما كتبره بالحديد والنار ، وانتصرت القومية العربية فى الجنوب العربى ضد قوى الاستعمار ، وأنشئت جمهورية اليمن الجنوبية بعد كفاح طويل .

وتجلى التضامن العربى بأروع مظاهره أثناء العدوان الثلاثى الغاشم على بور سعيد ، واهتزت الدوائر العربية لهذه الطامة الكبرى وارتجت المحافل الدولية لهذا العدوان السافر .

ان تيار القومية العربية كسيل العرم قوى جارف ولن تستطيع قوة فى الأرض أن تحول دون امتداده أو تعمل على ايقافه لأنه حقيقة واقعة لا سبيل الى تجاهلها أو تغافلها أو نسيانها ، ومهما حاول المستعمرون أن يفرقوا هذا المبدأ فانه لن يغوص الى الأعماق لأنه كقطعة الفلين التى تسبح فى الماء ولا تغوص الى الأغوار .

ولقد حاول الاستعمار أن يربط العالم العربى برباط الأحلاف العسكرية غير أنه باء بالفشل والخسران المبين بعد أن اعتمد على بعض أعوانه فى الشرق العربى وفشل مشروع ايزنهاور الذى زعموا أنه لملء الفراغ فى الشرق الأوسط كما سقط حلف بغداد والحلف الاسلامى ، كما فشل الاستعمار فى عرقلة مشروع السد العالى وأعلنها السيد الرئيس جمال عبد الناصر صيحة كبرى لتأميم القناة فى يوليو عام ١٩٥٦ ولم يستطع العدوان الثلاثى الغاشم أن يحقق غرضه ازاء وقفة الشعب العربى الباسل .

لا شك أن مارد القومية العربية كان شبحا رهيبا يهدد اسرائيل طيلة السنوات الماضية اذ اعتقدت انه لابد أن يجهز عليها فى القريب فأخذت تتحين الفرص من أجل تحطيم قوى هذا المارد الجبار ، والقضاء على وحدة الأمة العربية بكل طريقة مستطاعة . وقد استعانت اسرائيل بالدول الغربية والولايات المتحدة الامريكية

ابتغاء تحقيق هذا المخطط الآثم للقضاء على القومية العربية فى عقر دارها .

ولكن خاب مسعى اسرائيل فى هذا السبيل ، فانها لم تستطع أن تحقق قلامة ظفر من أمانيها وأحلامها ، بل خرج الشعب العربى بعد نكسة ١٩٦٧ أشد قوة وتماسكا واكثر وفاقا وتجانسا ، وكان مؤتمر القمة فى الخرطوم فى العام نفسه ضربة مصوبة الى قلب اسرائيل ، ودفعة قوية للقومية العربية للانتفاض والوقوف ، والثبات والصمود ، فقد أكد المؤتمر وحدة الصف العربى ووحدة العمل الجماعى وتصفيته من جميع الشوائب كما أكد رؤساء وملوك العرب التزام بلادهم بميثاق التضامن العربى الذى أصدره مؤتمر القمة العربى الثالث الذى عقد بالدار البيضاء ، كما قرر المؤتمر ضرورة تضافر جميع الجهود لازالة آثار العدوان على أساس أن الأراضى المحتلة أرض عربية يقع عبء استردادها على الدول العربية جمعاء ، كما قرر المؤتمر توحيد الجهود فى العمل السياسى على الصعيد الدولى والدبلوماسى لازالة آثار العدوان وتأمين انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى العربية التى احتلتها بعد الخامس من يونيو وذلك فى نطاق المبادىء الاساسية التى تلتزم بها الدول العربية وهى عدم الصلح مع اسرائيل وعدم الاعتراف بها وعدم التفاوض معها ، والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه .

ورأى المؤتمر بعد الدراسة أن ضخ البترول يمكن استخدامه كسلاح ايجابى باعتبار البترول طاقة عربية يمكن أن توجه لدعم اقتصاد الدول العربية التى تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود فى المعركة وتحقيقا لذلك قررت المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا وهى الدول المنتجة للبترول الالتزام بدفع مبالغ معينة من المال بالعملات الأجنبية الى مصر والأردن كما قرر

المجتمعون سرعة تصفيـة القواعد الأجنبيـة فى الدول العربيـة ، وضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الاعـداد العسكرى لمواجهة كافة احتمالات الموقف .

وهكذا انتصرت القومية العربية رغم النكسة عام ١٩٦٧ : ولم تستطع اسرائيل تحقيق الهـدف من عدوانها وأصبحت القوميـة العربيـة حقيقـة عمليـة واضحة لا تقبل الشـك ولا يرقى اليها الجدل .

الفصل الخامس

تحطيم الجبهة الداخلية

هناك مآرب أخرى لعدوان اسرائيل فى يونيو عام ١٩٦٧ لا تخفى على عين الباحث فى طبيعة اسرائيل وسياستها منذ انشائها عام ١٩٤٨ ، ومن هذه المآرب القضاء على التطور الهائل فى الصناعة العربية وعلى الأسواق التجارية فى الدول الافريقية لتوزيع منتجات هذه الصناعات فقد غدت الصناعة العربية ماردا جبارا يخيف الاقتصاد الاسرائيلى ويصيبه بالشلل التام ، وبينما نعتبر الزراعة فى الوطن العربى هى القطاع الأول الذى يبنى عليه هيكل الانتاج الكلى ، فان الصناعة تعتبر هى المنفذ الأساسى للتقدم الاقتصادى والنمو المستمر وذلك بأن طبيعة الانتاج الزراعى يتميز بأنه يتم فى دورة واحدة تبدأ بالبذر وتنتهى بالحصاد ، بينما نجد الانتاج الصناعى يتكون من عدة دورات يتركب كل منها على الآخر ، ويخدم

بعضها بعضا بشكل يتيح نموا سريعا لا فى النشاط الاجتماعى ذاته فحسب بل وفى أنواع المنتجات وتعددها وتقاربها مع أذواق المستهلكين واحتياجاتهم الزائدة .

لذلك كان التقدم الصناعى الحجر الأساسى فى كل خطة للتنمية فى الوطن العربى وقامت الدولة بتعبئة جميع الموارد الطبيعية والبشرية وتوجيهها وعملت على زيادة حجم الانتاج وتوزيعه ليتمشى مع الزيادة فى عدد السكان ، وادخلت الدولة الصناعات الثقيلة وزادت من الطاقة الانتاجية للصناعات القائمة ورفع كفايتها الانتاجية وظهرت فى بلادنا الصناعات الثقيلة كصناعة الحديد والصلب ومحركات الديزل وعربات السكة الحديد والسيارات اللورى وسيارات الركوب والأوتوبيس والمترو ، كما ظهرت فى حياتنا الصناعات الخفيفة مثل صناعة الدرجات وسخانات البوتاجاز والأفران والثلاجات الكهربائية ، والكابلات وأدوات الكهرباء والخزف والصينى .

وتطورت الصناعات فى عهد الثورة تطورا عظيما بعد ما كانت تقوم على الارتجال وتسيطر عليها الاحتكارات كما لم تتجه الاتجاهات السليمة التى تعمل على نموها وازدهارها ، أو تأبه للمقاييس الاقتصادية الأساسية كنفقة الحصول على المواد الخام كما لم تكن تدخل عليها وسائل الانتاج التى تحقق وفرا كبيرا وكفاية أعلى ، وكان مرجع هذا كله الى قصور فى العقلية الصناعية وتقصير فى استخدام الوسائل الفنية الصحيحة والتدريب المهنى .

وقد أدركت الصناعة فى السنوات الأخيرة طفرة جبارة وبعد أن كنا نعجز عن صناعة الابرة أصبحنا نصنع الابرة والصاروخ . والى دور الصناعات أشار الرئيس جمال عبد الناصر فى الميثاق فقال « ان الصناعة هى الدعامات القوية للكيان الوطنى وهى القادرة على الوفاء بأعظم الآمال فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى » .

الصنـاعة هى الطاقة الخـلاقة التى تستطيع أن تتجاوب مع التخطيط الواعى المـدروس ، وتفى ببرامجه دون ما عوائق غـير منظورة تصعب السيطرة عليها ، ومن ثم فهى القادرة فى أسرع وقت على توسيع قاعدة الانتاج توسيعا ثوريا حاسما .

ولا شك أن الطفرة فى ميادين الصنـاعة والانتـاج ، وميادين التصدير والتوزيع كانت سببا من أسباب قلق اسرائيل ، وقدحاولت اسرائيل تحطيم الاقتصـاد المصرى بحـرب يونيـو غير أن الرئيس عبد الناصر نادى بضرورة توجيه اقتصادنا ليكون اقتصـاد حرب وليتحمل معـركة طويلة ضد أعدائنـا لأنه سيستخدم ضـدنا كل الأسلحة بجانب أسلحة الضغط الاقتصادى .

واذا كانت معركة الانتاج قد واجهت بعض العقبـات فى سبيلها ومن ذلك تعذر تصدير بعض السلع الى بعض الأسواق ، وصعوبة استيراد بعض المواد الأولية اللازمة لبعض الصناعات ، واستمرار غلق قنـاة السويس لمـدة قد تطول فان الشعب العـربى استطاع الصمود أمام كل هذه الأحداث واستطاعت الصنـاعة العربيـة أن تستغل الموارد المحلية أحسن استغلال وتعوض النقص الذى تحس به فى مجال الصنـاعة ، كمـا استطاعت الدولة أن تحقق التوازن الاقتصادى وقامت ببعض الاجراءات الضرورية لمواجهة الأحداث ، وفرضت ضريبة الأمن القومى من أجل هذه الأغراض دون أن تمس أصحاب الدخول الصغيرة .

وقد رحب الجميع بهذه الاجراءات الاستثنائية من أجل تحقيق النصر ومواجهة الخطوب والأحـداث ، وتكوين احتياطى غير عادى

من المـواد التموينيـة والمـواد الاستراتيجية ومسـتلزمات زيادة الانتاج .

وقـد تعـاون الجميع على تحطيم هـدف اسرائيل من تدهور الاقتصاد المصرى والقاء الشعب فى مجاعة كبرى لأن الشعب يعتقد أن حرية القوت لن تتاح من غير تحقيق الحرية السياسية وتحرير اراضيه من اقدام المعتدى الأثيم .

الفصل السادس

الآمــال التوسعية

لقد كان انشاء اسرائيل ركيزة للاستعمار فى الشرق الأوسط ، ووسيلة لتحقيق أهدافه وتنفيذ خططه وآية ذلك ما ورد فى وثائق وزارة الخارجية البريطانية عن الخمسين سنة الأخيرة فقد جاء فى هذه الوثائق أن هنــاك عــدة مؤتمرات عقــدت فى عواصــم الدول الاستعمارية التى لها مصــالح استعمارية فى العــالم وهى انجلترا وفرنسا وايطاليا والبرتغال ، وقد تقرر فى هذه المؤتمرات أن هناك قوى بشرية هائلة فى منطقــة آسيا وافريقيا وأن هناك عوامل كثيرة تربط بين هذه القوى البشرية الهائلة منها اللغة والعادات والتقاليد ، والنزعة القومية وأنه لابد من خلق « حاجز بشرى » بين تلك الشعوب حتى لا تتكاتف ولا تتعاطف ولا تكون شوكة فى جنب الاستعمار ، تقلق مضاجعه ، ولذلك فكر المتآمرون فى تحقيق أمل اليهود فى خلق وطن قومى لهم فى فلسطين .

ولذلك لم يكن غريبا أن يصدر فى مايو عام ١٩٤٣ بيان أمريكى يعلن موافقة امريكا على قيام دولة يهودية فى فلسطين ورفضها للكتاب الأبيض الذى صدر فى عام ١٩٣٩ وتصميمها على اطلاق الهجرة اليهودية بدون حدود وعلى انشاء جيش يهودى ويعرف هذا القرار بقرار بلتيمور كما بعث ترومان فى ٣١ أغسطس ١٩٤٥ برسالة الى مستر أتلى يؤيد فيها فتح أبواب فلسطين لليهود النازحين من المانيا والسماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودى .

وفى ١٣ نوفمبر عام ١٩٤٥ شكلت لجنة بريطانية امريكية لحل قضية فلسطين وقد دلت القرارات التى تمخضت عن هذه اللجنة على روح العدوان للعرب اذ قررت هجرة ١٠٠ ألف يهودى فى الحال ، كما عقد فى لندن فى ١٠ سبتمبر عام ١٩٤٦ مؤتمر استمر حوالى ثلاثة أسابيع وقدمت فيه بريطانيا مشروع موريسون الذى يرى انشاء دولة فيدرالية من العرب واليهود تحت اشراف بريطانيا غير أن المندوبين العرب رفضوا هذا المشروع وتقدموا بمشروع يقضى بقيام دولة مستقلة وتكوين حكومة انتقالية برئاسة المندوب السامى تتألف من سبعة من العرب وثلاثة من اليهود ، ووقف الهجرة واحترام الأماكن المقدسة وعقد معاهدة تحالف مع بريطانيا الا أن بريطانيا رفضت المشروع العربى وأصرت على قبول مشروع موريسون ثم عادت وقدمت مشروع بيفن الذى يرى وضع فلسطين تحت وصاية بريطانيا لمدة خمس سنوات تقسم خلالها الى أقسام ادارية تتمتع بالحكم الذاتى ورفض العرب هذا المشروع .

ومن هنا يتضح لنا أن نيات الاستعمار كانت تهدف منذ البداية

الى تكوين منطقة نفوذ فى الشرق الأوسط عن طريق اسرائيل صيانة لمصالحه ورعاية لمطامعه فى الشرق الأوسط .

زد على ذلك أن مشكلة الميـاه فى اسرائيل تشكل خطرا داهما يهددها مما يجعلها تتوسع من أجل سد احتياجاتها ، فضلا عن أن مسألة المياه لها صلة مباشرة للهجرة اليهودية .

وقد قام أحد العلماء واسمه جرانوسكى Granowsky بتأليف كتاب يسمى Land Policy and Palestine (سياسة الأرض فى فلسطين) درس فيه مشكلة المياه فى فلسطين جاء فيه ان حجم المياه يبلغ نحو ٤٨٫٥٣٠ مترا مكعبا فى الساعة وهناك ينابيع المياه وعددها ٢٥ فى فلسطين ، ويخرج منها ماء يقدر بحوالى ٣٣٫٩٨٠ مترا مكعبا فى الساعة ، الى جانب ينابيع المياه المالحة وهى تنتج حوالى ١٨٫٣٦٠ مترا مكعبا فى الساعة ، وهذه الميـاه ذات حجم ضئيل بالنسبة لمساحة فلسطين التى تبلغ ١٣٫٧٤٢ ك م٢ . بدون بئر سبع التى تبلغ مساحتها ١٢٫٥٧٧ ك م٢ وهى أرض فقيرة فى المياه ، ولقد كان استغلال مصـادر الميـاه التى فى جوف الأرض قليلا وذلك يرجع للتكاليف الباهظة التى يتكلفها استخراج المياه ، ونتيجة لزيادة عدد السكان والمطالب المتزايدة التى تحتاج اليها المزارع .

ونتيجة لذلك فان أهمية المياه فى اقتصاد اسرائيل امر حيوى ومشكلة رئيسية حتى تساير حاجات المزارعين وبرامج الاستيطان ».

وقـد تعرض الكاتب نورمان بنتويس Norman Bentwich لمسألة الزراعة وصلتها بالهجرة اليهودية الى فلسطين فقال اننا

نستطيع أن ندرك الصلة بين الهجرة وتوافر المياه ، وهى صلة غير مباشرة اذ توجد المياه فى الطاقة الزراعية . وهذه الطاقة الزراعية تحدد مقدار الهجرة التى يمكن استيعابها وهكذا نستطيع أن نقول أن كمية المياه المتوافرة تتناسب طرديا مع عدد اليهود الذين يمكن استيعابهم .

وقد أشار بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل عام ١٩٦١ الى تلك الحقيقة حين قال يومذاك فى احدى خطبه :

واذا لم تضع اسرائيل حدا لحياة الصحراء فى النقب فان حياة الصحراء فى النقب ستضع حدا لحياة اسرائيل ؟

فلا غرو اذن أن تسعى اسرائيل لتحقيق هذه الأهداف وتطمع فى الوصول الى النيل والفرات ولكن هذه المطامع احلام كاذبة لا تلبث أن يدركها نور الصباح فيأتى عليها ويجعلها بددا ؟!

أدركت اسرائيل كذلك أن القاهرة هى مناط آمال الأمة العربية جمعاء ، وأنها بالقضـــاء على الثورة العربية فى القاهرة تستطيع أن تكبت أنفاس دعوات التحـــرية فى كل مكان من الوطن العـــربى الكبير بمعاونة الاستعمار الغربى ومساندة الولايات المتحدة الامريكية كما ادركت أن القـــوة العسكرية العربيـــة المتمثلة فى جيش الجمهورية العربية المتحدة خطر جسيم يهدد كيان اسرائيل وان استخدام كل وسيلة لتحطيم هذا الجيش ولو على سبيل الخديعة والخيانة من شانه أن يقضى على كل امل فى الحـــرب مع اسرائيل ، ولقد اظهـــر الجيش العـــربى من ضروب البسالة فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨

ما سجله التاريخ بحروف من نور وكانت معركة الفالوجة من أشهر المعارك الحربية فى فلسطين التى جعلت المراسلين العسكريين يقفون مذهولين ازاء البسالة العربيـة وشهامة الجنود العـرب كما كانت معارك يونيو ومنها معركة رفح من أروع المعارك الحربية . وسجلت أرض المعـركة بطولات عظيمة حتى آخـر قطرة من دماء شهدائنا الأحرار .

ولولا تحطيم السلاح الجوى العـربى فى قواعده قبل أن تبـدأ المعركة على النحو الذى سنفصله فى الصفحات القادمة لكان للمعركة شأن آخر فانه بالقضاء على السلاح الجوى الذى يحمى المشاة أصبح من العسـير على الجيوش البرية أن تقاتل تحت وابل من قنـابل الأعداء التى تقصف المشاة من السماء . وبالرغم من كل هذا فان الجيش العربى ظل يدافع عن الوطن ببسالة منقطعة النظير واضطر الى الانسحاب الى مواقع دفاعية جديدة من أجل الذود عن قنـاة السويس وقد حاولت اسرائيل فى عدوانها أن تضع العرب أمام الأمر الواقع وتفرض عليهم صلحا معها بقوة السلاح غير أن الشعب العربى ظل متمسكا بسياسته الأولى وقـرر مؤتمر القمـة فى الخرطوم فى ٢٩ أغسـطس عام ١٩٦٧ عدم الصلح مع اسرائيل والوقوف فى وجه العدوان الاسرائيلى صفا واحدا والقضاء على الآمال الاسرائيلية فى التوسع على حساب الأمة العربية وضرورة الانسحاب الى المواقع الأولى قبل حرب ٥ يونيو .

وقد كانت اسرائيل تحلم بتحقيق آمالها التوسعية منذ انشائها عام ١٩٤٨ وفى ديسمبر عام ١٩٤٨ وجه بن جوريون الى الشـعب اليهـودى فى اسرائيل نداء جاء فيه « على الشعب أن يجمع قـواه لانجاز هذه الأهداف ، والاعداد للوصول الى الهدف النهائى الا وهو

بناء الدولة اليهودية التى تجمع كل يهود العـالم ، وبذلك تتحقق نبوءة التوراة » .

/

وفى عـام ١٩٥١ عاد بن جوريون ليواصل سلسلة تصريحاته الهوجاء ليقول : اننى لا اقتنع بقطعة الأرض التى احتلتها اسرائيل من أرض فلسـطين كمـا ذكر فى كتـابه « اعادة انشـاء اسرائيل ومصيرها » قوله « الآن فقط وصلنـا الى بداية الاستقلال فى نقطة من أرض بلادنا الصغيرة » .

ومن اقوال بن جوريون المشـهورة « لا معنى لفلسـطين بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل » .

كما صرح لطلاب الجامعة العبرية والمعاهد القومية بقوله « ان هذه الخريطة يعنى خريطة فلسطين ليست دولتنا ، بل لنا خريطة أخرى عليكم انتم مسـئولية تصميمها ، خريطة الوطن الاسرائيلى الممتد من النيل الى الفـرات فليفهم الجميـع بأن اسرائيل قامت بالحـرب ، وانهـا لن تقتنع بحدودها حتى الآن ، ان الامبراطورية الاسرائيلية سوف تمتد من النيل الى الفرات » .

وصرح فلاديمير جابوتنسكى رئيس الحزب الاصلاحى فى اسرائيل فى مؤتمر المحاربين القدماء فى ٢٨ آكتوبر عام ١٩٥٥ بقوله « سنطرد العرب فى فلسطين وشرق الأردن ، وسنقذف بهم الى صحاريهم ، وسنقيم الدولة اليهودية على ضفتى الأردن أولا ، ثم نمتد بها الى ما وراء حدود فلسطين » .

وقال الزعيم الصهيونى المعروف « نورمان بنتويش » « ليس من المعقول أن تبقى فلسطين محدودة بحدودها الحالية ففى استطاعة اليهـود الانتشار والتوسع الى جميع البـلاد المحيطة بها فى البحر

الأبيض المتوسط الى الفرات ومن لبنان الى النيل ، فهذه هى البلاد التى أعطيت لشعب الله المختار .

وعقب عدوان ٥ يونيو وحرب الأيام الستة وصفت اذاعة اسرائيل رئيس اسرائيل « زالمان شازار » بأنه أول رئيس للقدس بأكملها كما أطلقت الاذاعة على الضفة الغربية اسم اسرائيل الغربية .

وأذاع موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى بيانا ذكر فيه أن قواته ينبغى أن تظل فى سيناء ، وأن القدس ينبغى أن تظل عاصمة اسرائيل وتحت سيطرتها ، وان اسرائيل يجب الا تتنازل عن قطاع غزة والضفة الأردنية من الأردن .

وصرح ليفى أشكول رئيس الوزراء الاسرائيلى فى الكنيست يوم ١٢ يونيو عام ١٩٦٧ بأن اسرائيل التى تحتل أراضى استراتيجية جديدة لن تعود أبدا الى الحدود السابقة . وصرح لفيف من الوزراء الاسرائيليين بأن اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ بين اسرائيل والدول العربية فقدت قيمتها وان اسرائيل لن تقبل فى المستقبل أى حل مؤقت .

وهكذا ظهرت نيات الصهاينة ومخططاتهم التوسعية واضحة جلية أمام العيان غير أن الشعب العربى لم يحفل لكل هذه المؤامرات وقد عارض العالم الاسلامى والمسيحى تدويل القدس ، وعارض البابا كيرلس الفكرة وقال : ان ذلك وضع شاذ لا مثيل له فى المجال الدولى ويتعارض مع ميثاق الأمم المتحدة ، ومقاصده التى تستنكر كل محاولة تستهدف التقويض الجزئى أو الكلى للوحدة القومية » كما طالب البابا عقد جلسة طارئة وعاجلة للجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمى باتخاذ موقف حاسم ضد الاجراء الخطير الذى اتخذه مجلس وزراء اسرائيل بضم القدس العربية الى فلسطين المحتلة .

ووجه فضيلة شيخ الأزهر بيانا مشتركا مع البابا كيرلس موجها الى أصحاب الضمائر الحرة فى أنحاء العالم والى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أعلنا فيه دعوتهما للأمة العربية الا تتهاون أو تتقاعس عن الجهاد دون الحق والوقوف دون كل معتد أثيم .

وقد خاب مسعى اسرائيل فى هذا الصدد ، ويقف العالم كله الآن بالمرصاد ازاء كل محاولة تقوم بها اسرائيل من اجل تدويل القدس واستخدام العنف والارهاب .

وقد قامت اسرائيل بخطوات خطيرة من أجل القضاء على عروبة القدس ومن ذلك أن الكنيست أصدر قرارا بتوحيد القدس واخضاع المدينة لادارة محلية موحدة كما أذاع بنك اسرائيل بيانا أعلن فيه ان الليرة الاسرائيلية هى العملة الوحيدة التى يصرح بتداولها فى الجزء الأردنى من القدس .

وبعد صدور قرار الكنيست بضم القدس عقد ليفى أشكول مؤتمرا صحفيا فى القطاع الأردنى من المدينة وأعلن فى غير خجل أو حياء ، ان العسكريين الاسرائيليين ليس فى نيتهم التخلى عن الأراضى العربية المحتلة .

وقد اشتعلت على أثر ذلك الثورات فى شتى أنحاء المدينة ، ورفض التجار دفع الضرائب الباهظة التى فرضها الاسرائيليون على التجار وأصحاب الأعمال ، وأغلق التجار حوانيتهم ، وشلت حركة المواصلات ، ولم تجد وسائل العنف والارهاب ، والقتل والتعذيب فى اقناع الشعب العربى فى القدس وفى غيرها من المدن المحتلة بسياسة الأمر الواقع ، ولم يكد الاسرائيليون يقضون على فتنة فى أحد أحياء المدينة حتى تشب فتنة أخرى فى منطقة مجاورة أو بعيدة . ولم تنفع سياسة الحديد والنار فى أعمال العنف والارهاب .

وقد نقل الصحفيون الروس الثلاثة مؤلفو كتاب « اطلاق الحمامة » ذلك البيان الذى أذاعته « نانسى أبو حيدر » على الرأى

العام العالمى بالنيابة عن القدس وشعبها وجاء فيه « ان العدو يذيق المدينة المحتلة اقسى العذاب ، والعدو يفعل كل ما فى وسعه لتغيير طابع المـدينة والقضاء على روحها ، ويجرى تحقيق هذا الهـدف بأساليب متعددة اعتبر انا شـاهدة عليها فبعد ثلاث سـاعات من انذار الأهالى بمغادرة دورهم تمهيدا للقيام بعملية « ادارية » سوت البولدوزورات العسكرية بالأرض بيوت أكثر من ٢٥٠ عائلة فى الحى الغربى لتقيم فى مكانها موقفا للسيارات السياحية القـادمة من تل أبيب وبنفس الطريقة هدم الحى الذى كان يسد الطريق الى حائط المبكى الذى أصبح فى أيامنـا هذه يرمز الى الآلام الجـديدة التى يعانيها أهـل القدس ، كذلك هـدم الاسرائيليون معسكر اللاجئين وعددا ضخما من المحـال التجـارية والبيوت ، وبذلك أصبح آلاف العرب بلا مأوى ، ولم يعد أمامهم سوى عبور نهر الأردن فى اتجاه الضفة الشرقية » .

ورغم كل هذه الاجـراءات الظالمـة التى قامت بها اسرائيل فى القدس فان العرب فى القدس يرفضون التعامل بالعملة الاسرائيلية ، ويفضلون التعامل بالدينار العراقى كما يرفض التجار شراء السلع من شركات الجمـلة الاسرائيلية كما رفض عـدد كبير من القضـاة العرب استئناف عملهم فى المحاكم ورفض المحامون العرب الاعتراف بضم القـدس . وغمر البـلاد طوفان من المنشورات الثورية التى وجهتها منظمة طلائع العودة وغيرها من المنظمات الوطنية للامتناع عن التعاون مع العدو بكل وسيلة مستطاعة .

وفى يوم ٢١ أغسطس عام ١٩٦٧ كان من المقـرر أن يصل الى القدس مستر أرنست تيلمان الممثل الشخصى للسكرتير العام للأمم المتحدة فرأى أن يشاهد الحوانيت مغلقة والشوارع خالية وحركة المرور متوقفة فقد وافق يوم وصوله يوم اعلان الاضراب العـام فى القدس على الوضع الشـاذ الذى فرضته اسرائيل على العرب دون وجه حق أو سند مشروع .

الباب الثانى

فى المعركة

الفصل الأول

الشـــرارة الأولى

تكشف الأنبـاء على أن اسرائيل كانت تنوى ان تشـن حـربا هجومية على الجمهورية السورية فى ١٧ مايو عام ١٩٦٧ ووضعت اسرائيل الخطـة على هـذا الأسـاس غير انها ما لبثت أن كشفت واصيبت بالفشل بعد أن تمت الحشود العسكرية الاسرائيلية الموجهة ضد سوريا ، وأعلن كل من ليفى أشكول رئيس الوزراء والجنرال اسحق رابين رئيس أركان الحرب أنه من المحتم أن تحدث مواجهة خطيرة بين سـوريا واسرائيل اذا استمرت عمليـات الفـدائيين الفلسطينيين داخلها كما اتهم سوريا بأنها تقف وراء جميع أعمـال التخريب داخل اسرائيل وأنه قد أنشئت وحدات خاصة من الجيش لمقاومة حرب العصابات ومواجهة تزايد هجمات الفدائيين العـرب ضد الأراضى الاسرائيلية .

وعلى أثر توتر الموقف على خطوط الهدنة بين سوريا واسرائيل وعلى أثر الحشود العسكرية الضخمة والتهديدات العدوانية المتكررة والاصوات العالية المدوية فى اسرائيل للزحف على دمشق أعلنت حالة الطوارىء فى الجمهورية العربية المتحدة وعقدت العزم على أن تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السورى لعدوان يهدد اراضيه أو سلامته ، كما اعلنت الجمهورية العربية المتحدة انها سوف تدخل المعركة لاتفاقية الدفاع المشترك بين مصر وسوريا التى تلتزم بها الجمهورية العربية المتحدة التزاما كاملا وكذلك لموقف الجمهورية العربية المتحدة ازاء كل عدوان على دولة عربية .

وتتابعت الأحداث سراعا وتقدمت الجمهورية العربية المتحدة بطلب سحب قوات الطوارىء الدولية بعد اصدار التعليمات الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها بعمل عدوانى ضد أية دولة عربية ، وذلك بضمان من قوات الطوارىء الدولية المتمركزة فى نقط المراقبة على حدودنا .

وتم فى يوم ١٧ مايو عام ١٩٦٧ تنفيذ طلب الجمهورية العربية المتحدة بسحب جميع قوات الطوارىء الدولية من نقط المراقبة التى كانت تتمركز فيها على الحدود المصرية وأصبحت القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة واقفة على خط الحدود المصرية الطويل الممتد من رفح الى خليج العقبة وهو الخط المواجه للأرض المحتلة فى فلسطين بواسطة العدو الاسرائيلى .

وانتهت بذلك مهمة وجود قوات الطوارىء الدولية على كل الحدود وفى قطاع غزة .

كما أبلغ يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة انسحاب قوات الطوارىء الدولية من غزة وانهاء وجودها على خطوط الهدنة المصرية الاسرائيلية وذكر أنه وضع فى اعتباره وهو يتخذ قراره سلطة

الجمهورية العربية المتحدة فى سيادتها على ارضها ، واضاف ان انهاء وجود قوة الطوارىء الدولية يعد حتما المواجهة المسلحة بين مصر واسرائيل وطالب يوثانت الجانبين بممارسة اقصى الهدوء وضبط النفس فى هذا الموقف حتى لا يصبح محفوفا بالخطر .

وأوضح يوثانت انه اتخذ قراره على اساس الاعتبارات الاتية :

١ ـ ان القوة لا تستطيع أن تبقى فى مكانها وان تؤدى مهمتها دون موافقة الدولة المضيفة .

٢ ـ انه يتعين تجنيب الكتائب التى تشكل قوة الطوارىء من التعرض للخطر .

٣ ـ انه ازاء طلب بالانسحاب مقدم من حكومة الدولة المضيفة ليس هناك اختيار الا التسليم به مع وضع سيادة حكومة القاهرة على أرضها موضع الاعتبار .

وفى يوم ٢١ مايو عام ١٩٦٧ أعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر أثناء زيارته لمركز القيادة للقوات الجوية اغلاق العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية والمواد الاستراتيجية لا تستطيع المرور منه الى اسرائيل ولو على سفن غير اسرائيلية كما أعلن ان العلم الاسرائيلى لن يمر أمام قواتنا المرابطة فى شرم الشيخ كما أن سيادتنا على الخليج لا تنازع .

ولم يكن السيد الرئيس جمال عبد الناصر وهو يتحدث بهذا الحديث يعبر الا عن الارادة العربية وعن رغبة الشعب العربى فى السيادة على أراضيه وعدم التفريط فى جزء من ارض الوطن اوحفنة من ترابه .

وحاولت الامم المتحدة ان تنقذ الموقف من التدهور كما حاول اوثانت سكرتير عام الامم المتحدة ان يجذب الخطوط الممكنة للسلام فى الشرق الاوسط ، فحضر الى القاهرة لمقابلة السيد الرئيس جمال

عبد الناصر . واعطى السيد الرئيس اوثانت وعدا بالا تبدأ مصر اطلاق النار ، كما أعلن عن استعداده لحل القضايا الشائكة عن طريق التسوية السلمية ولكن المتطرفين الاسرائيليين كانوا يبيتون فى نفوسهم امرا ، فقد حالوا دون تمكين اوثانت من ايجاد حل سلمى يمنع الصدام المسلح بين الطرفين وعارضوا بشدة اقتراح اوثانت بوضع قوات الامم المتحدة على جانبى الحدود فى الاراضى الاسرائيلية المحتلة .

وكانت اسرائيل تتاهب لهذا الصدام المسلح وتستعد له تمام الاستعداد كما كان رئيس الوزارة الاسرائيلية ووزير الخارجية يقومان بجهود كبيرة فى هذا الصدد ، ففى الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٢٤ مايو عام ١٩٦٧ هبطت طائرة تحمل فى ذيلها شعار اسرائيل فى مطار اورلى بباريس ، وكانت تحمل ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية الذى حضر الى باريس دون ان يثير حوله ضوضاء او يلقى عليه الاضواء لمقابلة الرئيس ديجول ونزل فى فندق هيلتون اورلى لانتظار المقابلة الموعودة ولكن الرئيس ديجول لم يستطع أن يعطى أبا ايبان وعدا بمؤازرته فى أى عدوان مسلح تقوم به اسرائيل بل اكتفى قائلا لأبا ايبان فى كلمات مقتضبة كان يرددها بين الحين والحين :

ـ لا تبدأوا باطلاق النار ؟ !

وقد رفضت فرنسا تسليم اسرائيل شحنات جديدة من طائرات الميراج ووجهة نظرها فى ذلك تقولها لأى سائل ولكل سائل :

ـ ان العرب ابدوا وما زالوا يبدون كل استعداد للحل السياسى المعقول ، فلماذا تريد اسرائيل من السلاح فوق ما لديها منه فعلا ؟!

وفى يوم ٢٦ مايو عام ١٩٦٧ وصل ابا ايبان الى البيت الابيض وتوجه فورا لمقابلة الرئيس الامريكى جونسون ، وشاع فى الدوائر الصحفية الامريكية على أثر هذه المقابلة ان الرئيس جونسون وعد وزير الخارجية الاسرائيلية بان يتولى شخصيا قضية الملاحة فى

خليج العقبة وان كان الرئيس الامريكى صرح رسمياً بأن الولايات المتحدة سوف تقف من الأزمة موقف الحياد فكرا وقولا وعملا ».

ووجه الرئيس جونسون على اثر ذلك رسالة شخصية الى الرئيس ناصر واقترح سحب الحشود المصرية من الحدود الاسرائيلية ثم التفاوض فى وشنطن حول قضية الملاحة فى خليج العقبة .

وقد جاءت زيارة أبا ايبان للولايات المتحدة بعد زيارة ليفى اشكول فى النصف الاول من شهر مايو ، وكان ليفى اشكول يطمع فى المساعدات الامريكية فلما انتهى من مهمته بعد مقابلة المسئولين الامريكيين التف حوله الصحفيون من كل جانب ، وكان ليفى اشكول يبدو هادىء الأعصاب وهو يجيب على أسئلة الصحفيين وقد ارتسمت على وجهه علامات النشوة والفرح ووجه اليه أحد الصحفيين الاسئلة التالية :

ـ اذا هوجمت اسرائيل بالقوة من جيرانها ، فهل تتوقع النجدة من الولايات المتحدة الامريكية وربما من بريطانيا و فرنسا ؟

فانطلق اشكول يقول :

ـ بالتأكيد اننا نتوقع مثل هذه النجدة ، اننى لا أريد للامهات الامريكيات ان يبكين على دماء ابنائهن التى تسفك هنا ، ولكننى بالتأكيد اتوقع هذه النجدة ولا سيما اذا اخذت فى الاعتبار جميع الوعود المؤكدة الصادرة الى اسرائيل ، ولقد حصلنا على هذه الوعود عندما طلبنا السلاح من الولايات المتحدة فقيل لنا « لا تنفقوا اموالكم ان الاسطول السادس هنا » ولقد كانت اجابتنا على هذه النصيحة هى أن الأسطول السادس قد لا يكون فى متناول اليد بالسرعة الكافية لسبب أو آخر ولهذا فلابد لاسرائيل أن تكون قوية وهذا هو السبب فى اننا انفقنا كثيرا من المال على السلاح بما لا يتناسب مع عدد سكاننا ».

وعاد الصحفى يسأل ليفى اشكول :

ـ هل تشترى السلاح حاليا من الولايات المتحدة ؟

فقال اشكول : اجل .

فقال الصحفى : ما نوعه ؟

فقال اشكول : طائرات مقاتلة من طراز سكاى هوك .

فقال الصحفى : ما عددها ؟

فقال اشكول : لا استطيع ان أفضى لك بالعدد لان هذا سر حربى ولكنى استطيع ان اقول اننا نأمل ان نحصل على هذه الطائرات خلال عام .

وقد رحبت كثير من الصحف الامريكية بزيارة ليفى اشكول وأبا ايبان ونشرت صحيفة « شيكاجو تربيون » فى ٢٢ مايو عام ١٩٦٧ مقالا تقول فيه أن الولايات المتحدة الامريكية ملتزمة بأمن اسرائيل وهذا الالتزام يكمن وراء الجهود التى تبذلها حكومة جونسون وراء الكواليس .

ونقلت اذاعة وشنطن فى ٢٧ مايو ١٩٦٧ تصريحا للسناتور واين موريس طالب جونسون بارسال الاسطول الامريكى لاقتحام حصار العقبة .

والعجيب ان ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية قام بحركة مسرحية لمقابلة الرئيس جونسون اذ طلب الاجتماع بالرئيس الامريكى قبل الموعد المحدد لمقابلته بساعتين واذيع انه أبلغه أن برقية عاجلة من حكومته أبلغته أن القوات السورية المصرية ستهجم على اسرائيل خلال ٢٤ ساعة وكان القصد من هذه المناورة ذر الرماد فى العيون والقاء سحابة من الدخان على المحادثات الامريكية الاسرائيلية ، وقام مستشار جونسون وقتها باستدعاء السفير العربى واعرب له عن قلق حكومته من هذه الانباء رغم انه اعترف

له بأن المعلومات التى لدى واشنطن تؤكد عدم صحة هذا الكلام ؟ وأبلغه رسالة شفوية من جونسون ناشد فيها الجمهورية العربية المتحدة ضبط النفس والامتناع عن اى عمليات عسكرية هجومية .

وكانت اسرائيل قد حصلت رغم هذه السحب الكثيفة التى تثيرها حولها على معونات حربية واسعة النطاق واخذت تشترى السلاح من أى مصدر غربى وبلغت المساعدات العسكرية الى اسرائيل عشرة الاف مليون دولار فى الفترة الواقعة بين ١٩٤٨ ، ١٩٦٥ دون أن تستنزف مواردها الخاصة .

وفى مدى اربع سنوات من ١٩٦٠ الى ١٩٦٤ حصلت اسرائيل من المانيا الغربية مجانا على اسلحة قدر ثمنها بمبلغ ٦٤ مليون دولار وتكونت هذه الاسلحة من ٦٠ طائرة هليوكبتر ونورداطلس للنقل وفوكاماستر للتدريب ، ٩٠٠ لورى ومقطورة ، ٦٠٠ دبابة طراز م ـ٤٨ وعدد من المدافع والصواريخ المضادة للدبابات ومظلات الهبوط وسيارات الاسعاف واضطرت المانيا الى ان تضع حدا لهذا بعد أن انفضح أمرها أمام العرب ، كذلك حصلت اسرائيل على السلاح من فرنسا فى بداية الامر وتلقت اعدادا وفيرة من الطائرات والدبابات بدون حساب أيام العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وبعده ؟ ولكن فرنسا أصبحت أقل حماسة لتسليح اسرائيل بعد أن حصلت الجزائر على استقلالها وتوثقت علاقاتها مع العرب .

ورغم كل هذه المعونات العسكرية التى تدفقت على اسرائيل كسيل العرم فان المسئولين الاسرائيليين كانوا يزعمون التمسك بمبادىء السلم الدولى ومسك الأعصاب فقد صرح وزير الدفاع الاسرائيلى موسى ديان فى مؤتمر صحفى عقده فى مساء السبت ٣ يونيو وطبقا لتحقيق جريدة « اورشليم بوست » بأن وقت الرد العسكرى على الحصار المصرى المضروب حول مضيق تيران قد فات ، ولكن التنبؤ بما يمكن ان تؤدى اليه الجهود الدبلوماسية

لا يزال سـابقا لأوانه ، واضـاف موسى ديان قائلا ، لقد اختارت الوزارة قبل دخولى فيها طريق العمل الدبلوماسى ولابد ان نتيح للوزارة فرصة اختبار امكانيات هذا الطريق .

والواقع ان العمل الذى قامت به الجمهورية العربيـة المتحدة فى خليج العقبـة ومضيق تيران أمر مشروع ويتمشى مع سـيادة الدولة والقوانين الدولية .

فان خليج العقبة خليج عربى مغلق ليست له أى صفة دولية ومياهه ومداخله ومضايقه عربيـة ، وغير مفتوحة للمياه الدولية أقرت هذا وايدته المواثيق الدولية وقرارات الامم المتحدة .

أما ميـنـاء « ايلات » الذى يصـدر منه البترول الايرانى الى اسرائيل بنسبة تصل الى ٩٠ ٪ من قيمة الصادرات البترولية فقد أقيم على أرض فلسطينية اهداها جلوب القـائد البريطانى للقوات الاردنية الى اليهود عام ١٩٤٩ عقب الهدنة مباشرة وكانت تشغل المكان نقطة حراسة فلسطينية اسمها « الرشراش » وقد حولها اليهود الى ميناء « ايلات » وكانت السيطرة العربية على الخليج كاملة حتى وقوع العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وتقرر وجود قوات طوارىء دولية سمحت لاسرائيل بالمرور وتوجد عند مدخل الخليج جزيرة تيران وتبعد عن الشـاطىء المصرى باربعة اميال ، وشرق جزيرة تيران تقع جزيرة « صنافير » وتبعد ميلين عن تيران أما ساحل الخليج فيمتد لمسافة ٢٨٠ كيلو مترا وتقع عليه حـدود الجمهورية العربيـة المتحدة ، والمملكة العربية السـعودية والمملكة الاردنيـة .

ويبلغ اتساع الخليج نحو سبعة أميال وهو مياه اقليميةمصرية ليس لاسرائيل أى سيطرة عليها أو تدخل فى أمرها .

ولذلك فان اعلان اغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الاسرائيلية والسفن التى تحمل مواد استراتيجية لاسرائيل ولو كانت السفن

غير اسرائيلية عمل مشروع تقره القوانين الدولية ولا غبار عليه بالمرة .

وقد ثارت حول خليج العقبة ومضيق تيران مناقشات كثيرة امتلأت بها أنهر الصحف الغربية ولكن الحقائق التاريخية كما سبق أن وضحنا تثبت أن هذا الخليج خليج عربي مارست الدولة العربية سيادتها عليه منذ أقدم العصور وبدون منازعة ، وقد مارست الدولة العثمانية سيادتها على خليج العقبة حتى الحرب العالمية الاولى ثم ورثت الدول العربية بعد انفصالها عن الدولة العثمانية فى أعقاب تلك الحرب حقوق السيادة على خليج العقبة ومارستها بصفة مستمرة وبدون منازعة ، وزيادة على ذلك كانت الدول العربية تحرص على أعتبار مياه خليج العقبة مياها داخلية وذلك لانه يتغلغل فى اراضى الدول العربية لمسافة ١٠٠ ميل باتساع لا يزيد فى اوسع اجزائه على ١٨ ميلا الامر الذى يجعل الملاحة فيه بدون رقابة امرا يمس أمن تلك الدول . كما ان الدول العربية كانت تنظر الى خليج العقبة باعتبار انه ممر له اهميته الكبرى للعالم الاسلامى لأنه الطريق التاريخى للحج الى بيت الله الحرام كما أن مضيق تيران يقع فى داخل المياه الاقليمية المصرية التى تبلغ ١٢ ميلا بحريا وفقا للقرار الجمهورى الصادر فى ١٧ فبراير عام ١٩٥٨ . والحقيقة التى لا تغيب عن أى منصف من رجال القانون الدولى ان الركنين اللذين حددتهما محكمة العدل الدولية لاعتبار المضيق مضيقا دوليا غير متوافرين فيه ، لأن مضيق تيران يربط بين بحر عام هو البحر الاحمر ، وبحر وطنى وهو خليج العقبة ولان مضيق تيران لم يسبق أن وصف بانه مضيق دولى كما ان الفترة التى اعقبت عدوان ١٩٥٦ الى عام ١٩٦٧ ليست صالحة لان تكون عرفا دوليا لانها جاءت على اثر عدوان ثلاثى غاشم على البلاد » .

الفصل الثانى

التجسس وحرب الأثير

تتكشف بعد الحروب دائما الاخطاء وتتجلى الاعمال ، وتظهر الحقائق ، فتستطيع الجيوش بعد ذلك أن تتبين فى أى فلك كانت تدور ، وعلى اى خطة كانت تسير ، وما مدى فعالية هذه الخطة فى احراز النصر ، أو جلب الهزيمة ، كما يتكشف بعد الحروب دور القادة والجنود ، والتيارات الواضحة والخفية التى سادت المعركة فيتخذ القادة من ذلك عبرة لهم فيما هو مقبل من الايام وقادم من المعارك .

وقد استطاع العدو خلال المعركة ان يستخدم وسائل خسيسة ولجأ الى الخبث والخديعة ، وتؤكد الصحف الغربية ان المخابرات الاستعمارية استطاعت أن تصل الى معلومات فى غاية الخطورة عن تعداد القوات المصرية المسلحة ، وتوزيعها وعدد وأنواع الطائرات الموجودة فى كافة القواعد الجوية المصرية مما سهل للعدو الاسرائيلى

مهمة ضرب المطارات الجوية ، والقضاء على قوة الطيران فى فترة وجيزة .

كما توصلت المخابرات الاسرائيلية ايضا الى معرفة الشفرة وسرعة ذبذبات الاتصال اللاسلكى بين وحدات القوات المصرية وقد استفادت اسرائيل من ذلك الى أبعد الحدود فى المعارك التى نشبت بين القوات المصرية والاسرائيلية .

وذكر الكاتب الكبير الاستاذ محمد حسنين هيكل فى ٢٤ مايو ١٩٦٨ مقالا ذكر فيه ان اسرائيل قد وصلت الى حد انها كشفت صراحة انها تتسمع على كل المواصلات اللاسلكية داخل العالم العربى وبين العالم الخارجى ، كما أنها كشفت تلميحا أنها كانت تملك الكثير من مفاتيح الشفره السرية العربية ، وكان من السهل تصور المصدر الذى حصلت منه اسرائيل على كل ما حصلت عليه من مفاتيح الشفرات السرية وهو وكالة الأمن القومى الامريكى .

ويروى كهن مؤلف كتاب « محطمو الرموز » انه فى زيارة لمبنى وكالة الامن القومى فى واشنطن شاهد بنفسه مفاتيح الشفرة السرية الخاصة بقيادة الأركان العامة للجيش السورى .

ووكالة الأمن القومى الامريكى هى الوكالة السرية التى تعمل لحسابها كل سفن التجسس الامريكية فى العالم وبينها السفينة « ليبرتى » صاحبة الدور المشبوه المشهور فى حرب الأيام الستة .

ونشرت جريدة الفيجارو الفرنسية مقالا ذكرت فيه أن عملاء اسرائيل استطاعوا التقاط الحديث التليفونى بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين ملك الاردن .

وجلا المؤلف الروسى بيليايف وزميلاه فى كتاب « اطلاق الحمامة » دور بعض الجواسيس الاسرائيليين فى سوريا ومنهم ايلى كوهين وهو العميل رقم ٨٨ الذى يحمل لقب كمال امين

ويعيش فى قلب مدينة دمشق! وقد ارسل الى ادارة المخابرات الاسرائيلية اشارة جاء فيها أن ٣٠ مدفع ميدان عيار ١٢٠ ملليمتر تتربص على الحدود السورية فى مواجهة مستعمرة «ميشمار خياردين» الاسرائيلية ، وكان جهاز الارسال عبارة عن ماكينة حلاقة يخفيها فى الحمام !!

اما دور السفينة «ليبرتى» فلم يعد خافيا على احد فقد تناول دورها المعلقون السياسيون والعسكريون بكثير من التحليل .

وذكرت النيوزويك الامريكية ان السفينة «ليبرتى» التى كانت راسية على بعد ١٥ ميلا من شاطىء سيناء كانت مهمتها التقاط الرسائل التى تصدر من غرفة العمليات من جهة سيناء وفك شفرتها على الفور ونقلها ، وهذه السفينة هى احدث قطع التجسس ومزودة بأجهزة الكترونية وتستطيع الاتصال بأى مكان فى العالم عن طريق الأقمار الصناعية .

وتردد ان اسرائيل استطاعت الحصول على نتائج عمليات استطلاع وتصوير لجميع المطارات عن طريق الطائرات يو ٢ !! والأقمار الصناعية فى خرائط دقيقة ومفصلة ، وقد استخدمت هذه المعلومات فى ضرب المطارات المصرية . فضلا عن ان السفن التى كانت موجودة فى شمال العريش وتتبع الاسطول السادس كانت بها اجهزة شوشرة على الرادار حتى تعجز أجهزة الرادار المصرية عن التعرف على الطائرات المغيرة ، كما تمت عمليات شوشرة على أجهزة الاتصال بين الدبابات وبعضها وبين الدبابات وقياداتها .

ويقول المؤلفون الروس ان ليبرتى لم ترفع رايتها ، ولم يكن هناك اى علم على موضع القيادة كما ان القبطان لم يستجب للمطالبة الملحة بتحديد جنسية السفينة وحينئذ عادت زوارق الطوربيد الى اطلاق قذائفها على السفينة المريبة . ولكن فجأة

رفعت السفينة ليبرتى علم الولايات المتحدة الامريكية ، وسرعان ما انسحبت زوارق الطوربيد الاسرائيلية وبادرت تل أبيب بطلب (المغفرة) من واشنطن ؟!

وسفن التجسس وحرب الأثير ، والتقاط الرسائل اللاسلكية ونحوها أساليب حربية ظهرت منذ الحرب العالمية الثانية ، فان السرعة العظيمة فى القتال بين الطائرات اقتضت من الفريقين أن يعتمدوا اعتمادا لا غنى عنه عن التليفون اللاسلكى والمخاطبات اللاسلكية اذ لم يكن منها بد لحشد أسراب القاذفات وتوجيهها ولتوجيه المطاردات الى القاذفات المغيرة أيضا وقد كان رادار عماد الألمان والانجليز فيما اتخذوه من وسائل الدفاع ضد الطائرات ورادار هو العين اللاسلكية الساحرة التى تبين الطائرات المغيرة وتعين مواقعها .

وقد بدأ الانجليز يتخذون الأساليب اللاسلكية المضادة فى خريف عام ١٩٤٠ يوم بدأت قاذفات جورنج تشن غاراتها فى الليل على مدن انجلترا ، وكان طيارو القاذفات الألمانية يوجهون الى أهدافهم باتباع اشعة ضيقة من الرادار ترسل من قواعد على سواحل فرنسا وبلجيكا ، وكانت هذه الخطوط تقطعها خطوط أخرى مرسلة فى الفضاء من قواعد فى هولندة والنرويج وتكون الأماكن التى تتقاطع فيها انذارا للطيارين بأنهم دنوا من أهدافهم .

وقد أحرز الألمان أول ظفر فى ادخال الفساد على عمل الرادار ففى شهر فبراير عام ١٩٤٢ تسللت البوارج الألمانية شارنهورست وجنايزناد،والبرنس أويجن،من ثغر برست واتجهت الى بحرالمانش وقد لاحظ خبراء الرادار على الساحل اضطرابا فى أجهزتهم كان يسير فى أول الأمر ثم ازداد قوة ، فلما بلغت البوارج مضيق دوفر كان الاضطراب لا يزال مستمرا ، فمنع الانجليز من رؤية

سفنهم وطائراتهم ومن توجيهها ، ومرت البوارج الالمانية وهي آمنة ، ومن الأجهــزة الحديثة جهاز لاحداث اللغط يسهل حمــله فى طائرة وهو جهاز بارع فأحد أقسامه جزء مستقل يفتش مناطق امواج الراديو تفتيشا آليا ، فاذا تبين اشارة ما على حديث دائر ظهرت نقطة من الضوء على لوحة ، وما على عامل الجهاز حينئذ الا أن يستوثق من مصدر الاشارة . ويستطيع ان يمحو الحديث الدائر كما يستطيع أن يسجله فى نفس الوقت . وبلغ من نجاح هذا الجهاز أن استخدمه الألمان فى الحرب الأخيرة ، واستعمله الحلفاء فى ليلة ٢٢ : ٢٣ اكتوبر عام ١٩٤٣ يوم شنت القاذفات البريطانية هجوما قويا على مدينة « كاسل » وادرك الألمان خلال الغــارة أن خللا قد وقع وسمع رصــاد الراديو البريطانيين يقول لطيارى المطاردات الليلية التى تأتمر بأمره « حذار من صــوت آخر » وحذرهم من أن يضللهم العدو ، وبعد أن انفجر الألمان بالسباب تدخل صوت المذيع الانجليزى مقلدا صوت أحد الطيارين وقال : هذا الانجليزى يلعن ويسب فقــال الألمــانى « ليس الذى يسب هو الانجليزى بل أنا » ولم تكد الغارة تشرف على ختامها حتى بلغ من اختلاط الأمر على الطيارين الألمان أن صار يسب بعضهم بعضا ».

وقد انشأ الألمان الى جانب هذه الوسائل للتجسس والتقاط الأخبار ، والتشويش وخديعة المقاتلين ادارة خاصــة للاذاعة الدفاعية رجالها من خبراء الراديو ، وقد قامت بالتشويش على نطــاق واســع فوق الموجات اللاسلكية على أوربا وشحنت بقوة بخليط من أنغام ارغن بدوى ، وذبذبة مناشير موسيقية ، وشقشقة عصافير ، ولغط أصوات ، ورنين مطارق السندان ، وصفــارات بخارية واشارات مورس البرقية الصاخبة .

واخذت انجلترا بثأرها مستعينة بأجهزة اضافية للارسال

واذاعت البرامج ذاتها على موجات متعددة قد تصل الى ١٢ موجة مختلفة الأطوال .

وكانت غارات الحلفاء التى سبقت الغزو قد انزلت بنظام الرادار الألمانى على ساحل أوربا الغربية وهنا خطيرا ، ولكن الألمان كان لهم بين شربورج ونهر السكلت أكثر من مائة محطة رادار ، وكان لابد من القضاء على محطات الرادار حتى يكفل النجاح للجيوش التى تهبط فى منطقة نورماندى .

وحلقت اربع وعشرون قاذفة بريطانية وامريكية مجهزة بأدوات اللغط على ارتفاع ١٨ ألف قدم ، وظلت ساعات متوالية ترسل الاشارات التى تحدث الاضطرابات فى محطات الرادار الألمانية فى شبه جزيرة شربورج ولم يقتصر أثر عملها على اخفاء أسراب القاذفات المقاتلة بل أخفت ايضا الطائرات والسابحات التى تحمل الجنود ، ومنعت الألمان من تبين عمارة الغزو نفسها ، ولما دنت السفن من الساحل اشتركت أجهزتها فى اطلاق اشارات اللغط والاضطراب .

وهكذا يقوم العلم بدور كبير فى تيسير دفة المعركة ، وهذا درس تعلمناه من معارك يونيو ومن سفينة التجسس ليبيرتى ومن التقاط الاشارات اللاسلكية بين القوات المصرية . ومن تعطيل الأجهزة اللاسلكية فى الدبابات ، ومن التقاط الأحاديث التليفونية بين كبار المسئولين حتى بلغ بهم الأمر على حد تعبير مؤلفى كتاب اطلاق الحمامة من تسجيل الحديث التليفونى بين السيد الرئيس عبد الناصر والملك حسين ، ومن التشويش على كثير من الاشارات اللاسلكية ومن ارسال توجيهات زائفة للجنود فى شبه جزيرة سيناء للانسحاب ، فهذه الأحداث كلها كان لها مثيل فى الحرب العالمية الأخيرة وتثبت قدرة العلم والتكنولوجيا فى خوض المعارك

ولـكن الذى يفرينـا فى ذلك كله ان اسرائيل كانت تحارب بقـوى تزيد عن قواها ، واننا منينا بهزيمة تزيد عما نستحـق كما ان اسرائيل احرزت كسـبا فوق ما تسـتحق ؟!.. ولولا مسـاندة الاستعمار لاسرائيل بوضعها ركيزة فى الشرق الأوسط ما تمكنت اسرائيل من الحصول على ادنى ظفر فى المعركة : وما كان لخطـة الحمامة ان تنفذ أو تخرج الى حيز الوجود . وهذه حقيقة واضحة لا تخفى على اعين القادة فى أنحاء العالم بل لا تخفى عن أعين الشـعوب ، ومهما كابر اعوان اسرائيل ، وأمعنوا فى اللجـاج فان هذا لاينقص من الحقيقة شيئا .

الفصل الثالث

الزحف المقدس

كان الظلام يسود القاهرة ، بعد أن هبط الليل وتوارى قرص الشمس فى الأفق ، واحتجبت الغزالة فى خدرها .

وكان اليوم يوم الجمعة وهو يوم الدعة والراحة عند كثير من الناس بيد انك كنت تلاحظ الناس وقد تلاشى من وجوههم أى اثر للدعة أو الراحة ، فقد خلف العدوان الصهيونى على وجوه الناس أمارات كئيبة من الحزن والشجن . وكان الناس يهرعون الى بيوتهم فى لهفة لا لأن الغارات الجوية تخيفهم ولا لأن الظلام يهولهم ولكن لأنهم كانوا على موعد مع عبد الناصر .

نعم فقد كان عبد الناصر قرر أن يوجه خطابا الى الشعب فى نفس اليوم فى الساعة الثامنة الا ثلثا عن طريق الاذاعة والتليفزيون .

وكان بعض الشباب يحمل فى يديه « ألوانا مختلفة من الراديو الترانزستور » تتصاعد منه موسيقى حماسية حارة تلهب النفوس

وتثير الحمية فى القلوب ، كما كانت تتصاعد منه أغنيات جماعية ، ونداءات حارة يرددها المذيع بلهجة متوقدة ونبرات مثيرة .

والقى عبد الناصر كلماته على الشعب فى يوم ٩ يونيو عام ١٩٦٧ ، وتراءت صورة عبد الناصر على شاشة التليفزيون وقد ارتسمت عليها امارات الحزن والأسى ، وبدا كأن الرئيس قد قطع من عمره سنوات الى الأمام . فقد بدا كأن الشيب قد ملأ فودية .

وانصت الناس لكلمات عبد الناصر . كان يتكلم فى صدق وايمان وفى حب واخلاص ، وقرر عبد الناصر أن يتنحى عن الحكم ويكلف السيد زكريا محيى الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة ، وتعهد أن يضع كل ما عنده تحت طلبه ، وفى خدمة الظروف الخطيرة التى يجتازها الشعب وقال « لقد كنت أقول لكم دائما ان الأمة هى الباقية وان اى فرد مهما كان دوره ، ومهما بلغ اسهامه فى قضايا وطنه هو اداة لارادة شعبية وليس هو صانع هذه الارادة الشعبية ، وأن قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها ، وأريد أن يكون واضحا أمامهم انها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائما بأنها امبراطورية لعبد الناصر وليس ذلك صحيحا لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر وسيبقى بعد جمال عبد الناصر » .

ولم يكد بيان جمال عبد الناصر يذاع على الشعب حتى توافدت جموع الشعب من كل مكان رغم ما كان يسود القاهرة من ظلام دامس واتجهت صوب مجلس الأمة وصوب مبنى الاذاعة والتليفزيون وصوب مجلس الوزراء ، وظلت تهتف باسم عبد الناصر قائلة : لا رئيس الا عبد الناصر ، كما هتفت الجماهير الغفيرة قائلة « سجل يا سادات احنا عايزين ناصر بالذات » .

وتراءت على شاشة التليفزيون صورة واضحة لجموع الشعب الغفيرة وهى تنتقل فى كل مكان هاتفة باسم عبد الناصر ، ورغم

صفارات الانذار التى انطلقت فى القاهرة فان جموع الشعب لم تتفرق ولم تستجب لتلك الدعوات الموجهة اليها من الميكروفونات المعلقة فى عربات بوليس النجدة .

وتدفقت الجموع الى بيت الرئيس جمال عبد الناصر ، وصوتها يخترق كل الحواجز اليه وحينئذ قرر عبد الناصر ان يخضع لارادة الشعب لأن صوت جماهير الشعب بالنسبة اليه امر لا يرد فاستقر رأيه أن يبقى فى مكانه وفى الموضع الذى يريده الشعب منه أن يبقى حتى تنتهى الفترة التى نتمكن فيها جميعا من أن نزيل آثار العدوان .

وقد كان من المقرر أن يتوجه السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى اليوم التالى لتنحيه ليلقى كلمته الى ممثلى الشعب فى مجلس الأمة ولكن وصوله الى المجلس كان استحالة مادية فى شوارع غطت عليها امواج الجماهير المتدفقة وقد أملى السيد انور السادات تليفونيا كلمته التى كان ينوى أن يلقيها على مسامع ممثلى الأمة .

وما كاد السيد انور السادات يلقى كلمة السيد الرئيس ويذيع السيد زكريا محيى الدين بيانه حتى غمرت الفرحة الجموع الغفيرة التى تحيط بمجلس الأمة وتسد الشوارع والطرقات ، وانهالت الحناجر بالهتاف ، ودمت الأكف من التصفيق والتهليل بحياة الرئيس عبد الناصر .

وكان يوم ١٠ يونيو عام ١٩٦٨ يوما مشهودا كما كانت ليلة يوم ٩ يونيو من ليالى العمر الخالدة . التى وضحت مدى ما يكنه الشعب نحو قائده ومدى ما يكنه القائد نحو شعبه الذى يعتقد أنه هو القائد وهو المعلم وهو الخالد .

وكان يوما ٩ ، ١٠ يونيو حجة ناصعة للحب المكين فى قلوب الشعب ودليل قاطع على أن الثورة ماضية فى طريقها الى الامام لتمحو آثار العدوان .

الفصل الرابع

نخب الانتصار

سرت الفرحة فى قلوب الصهاينة عقب معارك يونيو واعتقدوا أنهم كسبوا الحرب بعد ان خاضو غمار الحرب التي ظنوا انها الحرب التى تنتهى بها كل الحروب .

ولكن دهاقين السياسة الاسرائيلية ظلوا يتوجسون خيفة من القوات العربية وأخذوا الحذر مخافة ان تدهمهم هذه القوات أو تحيل أحلامهم البعيدة الى قطعة من العذاب ؟ !

ولكن ماذا يفعل موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى ورئيس المؤسسة العسكرية فى حكومة ليفى أشكول وهى هيئة اركان الحرب ووراءها الغالبيـــة العظمى من الضباط المحترفين فى الجيش الاسرائيلى ، وأجهـزة المخابرات العسكرية والسياسية ومعـاهد الدراسات الاستراتيجية التابعة لهيئة أركان الحرب الاسرائيلى

وكل التنظيمات التى يمتد اليها اشراف وتوجيه الجيش الاسرائيلى وأفواج الضبــاط الســابقين الذين يمسكون بكل مرافق اسرائيل الحيوية ويتلقون تعليماتهم من الجيش بصرف النظر عمــا تقوم السلطة المدنية الرسمية وجمــاعة السياسيين الذين ربطوا لسبب أو آخر حياتهم السياسية بدور الجيش الاسرائيلى .

ماذا يفعل موسى ديان امام هؤلاء جميعا . لا بد أن يظهر امامهم من ضروب الزهو والفخر ما يرضى كبرياءه ويجعل رأســه مرفوعا بين هؤلاء جميعا وهو الذى يسعى دائما أن تكون مقاليد السلطة فى يده ؟ ! ويلقى عليــــه الأضواء ويجمع حوله مراسلى الصحف والاذاعات الاجنبية .

هل يعقد موسى ديان اجتماعا لكل هؤلاء ليبرز شخصيته ؟ ويتيه عجبا وخيلاء . حقا ان موسى ديان فى الثانية والخمسين من عمره ولكنه يحس انه فى حاجة الى ان يحاط بهالة من الاعجاب والتقدير ؟!

الباب الثالث

نكسات وانتصارات

الفصل الأول

ماذا تصنعون بالحياة ؟

لست ادرى هل كان موسى ديان يعرف أن الحرب مد وجزر وهزيمة وانتصار أم غاب هذا عن ذهنه وهو فرح ثمل يستقبل زواره يوم زواج ابنه وابنته فى ٢٢ يوليو عام ١٩٦٧ .

ولكن الباحث فى التاريخ العسكرى يصل الى نتيجة واضحة لا شك فيها وهى أن الانكسارات قد تتلوها الانتصارات وأن النكسات قد تؤدى الى الفوز فى الغزوات . ولنا فى التاريخ الاسلامى والتاريخ الأوربى نماذج كثيرة لا تحصى ولا تستقصى . بل لنا فى تاريخ الفراعنة أمثلة كثيرة لا يكاد يحصرها الباحث .

ولدينا فى غزوة احد دليل ناصع البيان فقد كاد المسلمون يحصلون على الفوز فى المعركة وتقهقر المشركون بيد أن المسلمين لما رأوا تقهقر المشركين أهمل الرماة وصية الرسول اياهم بالثبات

فى اماكنهم حتى يعلن هو انتهاء القتال ، وانكفأوا يجمعون ما ترك العدو وراءهم من الغنيمة والاسلاب ، ونهض فيهم عبد الله بن جبير خطيبا يحذرهم من مغبة ما يصنعون ، ومن سوء ما يفعلون فلم يسمعوا بل اندفعوا يتعجلون الغنيمة ويستولون على الاسلاب فانتهز خالد بن الوليد فرصة خلو الجبل من الرماة وكان لم يعلن اسلامه بعد فأتى المسلمين من خلفهم وأعمل الرماح فى ظهورهم ، واضطرب المسلمون لهذه المفاجأة واختل نظامهم واضطربت صفوفهم حتى تعرضت حياة الرسول للخطر الداهم والشر المبين وشاعت اشاعة بين الجنود أن محمدا قد مات وقام ابن قميئة وكان من المشركين وخطب فى الناس قائلا : الا أن محمدا قد قتل .

وتخاذل المسلمون وتسرب اليأس الى قلوبهم الا ان الحمية ثارت فى نفوس جماعة منهم وعلى رأسهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك الذى اخذته الحمية وصاح فى نخوة عربية وصوت جهورى : ماذا تصنعون بالحياة من بعده ؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأحاط نفر من المسلمين برسول الله واخذوا يتلقون عنه السهام والنبال وطعنات السيوف فى عزيمة وثبات .

والحق يقال أن العدو قد استخدم « الاشاعة » فى تحطيم الروح المعنوية لجيش المسلمين ، والاشاعة سلاح من أسلحة الحرب حتى فى العصر الحديث ، فأثر ذلك فى نفسية المقاتلين .

وعلى الرغم مما بذله المسلمون من تضحيات فى سبيل الحفاظ على حياة الرسول فقد جرح الرسول فى وجنته وكسرت رباعيته ، وشج فى رأسه كما انه وقع فى احدى الحفر التى حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، واستشهد من المسلمين أكثر من سبعين .

وأظهر المسلمون في المعركة من البسالة ما اذهل العقول ، فقد صاح حمزة بن عبد المطلب صيحة القتال يوم احد « أمت ، أمت » واندفع الى قلب جيش قريش فلقيه طلحة بن ابى طلحة حامل لواء مكة فضربه حمزة بالسيف على يده اليمنى فتناول اللواء باليسرى فقطعها حمزة بسيفه ، فضم طلحة اللواء بذراعيه الى صدره فانهال عليه حمزة بضربة أردته صريعا ، واندفع ابو دجانة وفي يده سيف النبى وعلى رأسه عصابة الموت فجعل لا يلقى احدا الا قتله حتى شق صفوف المشركين فرأى انسانا يخمش الناس خمشا شديدا ، فحمل عليه السيف فولول فاذا هند بنت عتبة فارتد عنها مكرما سيف الرسول أن يضرب به امرأة .

وكانت هند بنت عتبة هذه قد أوعزت الى وحش الحبشى أن يقتل حمزة ويرديه قتيلا وقالت : ان قتلت حمزة عم النبى فأنت عتيق وروى الحبشى قال : « فخرجت مع الناس وكنت رجلا حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة فلم أخطىء بها شيئا » .

وقد تمكن وحش الحبشى أن يصرع حمزة على حين غرة وجاءت هند بنت عتبة فبقرت بطن حمزة بن عبد المطلب وأخذت كبده فلاكتها حتى اذا عجزت عن أكلها لفظتها .

وحزن الرسول الكريم لمصرع حمزة حزنا شديداً وقال : لن أصاب بمثلك أبدا ، ما وقفت موقفا قط أغيظ الى من هذا ؟!

وقد كان لانحدار المسلمين فى أحد أثر كبير فى نفوسهم فعولوا على استرداد كرامتهم الضائعة حتى يحيلوا الهزيمة الى فوز والنكسة الى نصر ، وهذا ما حدث تماما فانتصر المسلمون بعد ذلك فى عدة سرايا منها سرية بنى الرجيع (٤ هـ) وغزوه بئر معونة (٤ هـ) وغزوة بنى النضير (٤ هـ) وكان يهود بنى النضير قد بلغ استخفافهم بالمسلمين والاستهانة بشأنهم ان فكروا فى قتل محمد رأس هذه الجماعة للتخلص منها بيد أن محمدا وأصحابه ساروا اليهم فتحصن

اليهود فى اطامهم فحاصروهم وأمر بقطع النخيل وتحريقه ثم القى الله الرعب فى قلوبهم فسألوا الرسول أن يجليهم ويكف عن دمائهم على ان يأخذوا معهم ما تحمل الابل من المال الا الدروع فاجابهم الرسول الى ذلك . وكان الرسول قد أرسل اليهم محمد بن سلمة فقال لهم : ان رسول الله ارسلنى اليكم ان اخرجوا من بلادى ، لقد نقضتم العهـد الذى جعلت لكم بما هممتم من الغدر بى . لقد اجلتكم عشرا ، فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه » .

وانتصر المسلمون بعد ذلك فى غزوة الاحزاب واستطاعوا ان يثأروا لما حاق بهم فى أحد وجابهوا قوة كبيرة من المشركين بيد انهم انتصروا عليهم ، واشار سلمان الفارس على الرسول بحفر الخندق فعمل الرسول بنفسه فى حفره ترغيبا للمسلمين فى الاجر وفرغوا من حفره قبل وصول قريش على الرغم من تسلل المنافقين وهربهم أثناء العمل دون استئذان الرسول .

وكان الخندق شمالى المدينة لأن الجهات الأخرى كانت محصنة بالجبـال والنخيل والبيوت واختلف المؤرخون فى مكان الخنـدق وطوله ويظهر لنا أنهم خطوه فى الجهة الشرقية الى الشمال فالغرب ثم الى الجنوب قليلا ، واذا صحت الرواية القـائلة بأن الرسول قد وكل الى كل عشرة من المسلمين أن يحفروا قطعة من الخندق طولها أربعون ذراعا فاننا نستطيع ان نستنتج أن طول الخندق قد بلغ اثنى عشر الف ذراع على الأقل اذا فرضنا أنه لم يعمـل فى حفـر الخندق الا رجال الجيش الذين اتفقت المصادر على انهم كانوا ثلاثة آلاف وانتصر المسلمون نصرا مؤزرا فى غزوة الخندق بعد حصار طويل للمشركين كما انتصروا بعد ذلك فى غزوات أخرى انتهت بغزوة الفتح ودخول الناس فى دين الله أفواجا .

وهكذا تحولت الهزيمة الى انتصار ، كما تحولت النكسة الى فوز ، واستفاد المسلمون من المحنة التى مرت بهم .

وقد ضرب الله سبحانه وتعالى للمسلمين فى كتابه العزيز مثلا آخر استمده من غزوة حنين اذ قال عز وجل « ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » .

وكان المسلمون قد تفرقوا فى أول المعركة وولوا الأدبار لما وجدوا من قوة المشركين اذ كان على رأس هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل فكان كلما أدرك المسلمين طعن برمحه وهوازن وثقيف وأنصارهما منحدرون من ورائه يطعنــون وثارت بمحمد الحمية فأراد ان يندفع ببلغته البيضاء فى صدر هذا السيل المتدفق من جيوش العدو ولكن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أمسك بخطام بغلته وحال دون تقدمهـــا ، وتفرق جمع المسلمين مذعورين بيد أن العباس بن عبد المطلب نهض فى المسلمين خطيبا وهو يقول : يا معشر الأنصـــار الذين أووا ونصروا ، يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ، أن محمدا حى فهلموا .

وهنـــا تجمع جيش المسلمين مرة ثانية واندفعـوا الى المعركة مستهينين بالموت فى ســبيل الله حتى تم لهم النصر المبين ، وفر المشركون لا يلوون على شىء تاركين وراءهم نســـاءهم وأبنـــاءهم وأموالهم غنيمة للمسلمين ، وفيهـــا اثنان وعشرون ألفا من الأبل ، وأربعون ألفا من الشاء ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة ، أما الأسرى فقد بلغ عددهم نحو ستة آلاف أسير .

الفصل الثانى

الصليبيون والتتار

وإذا تعدينا عهد الرسول الى القرن السابع الهجرى ووقفنا عند الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة الملك لويس التاسع ملك فرنسا عام ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) وجدنا هذه الحملة تتوغل فى الأراضى المصرية ، وتنتصر فى كثير من المعارك وتستولى على دمياط ومحلة المنصورة حتى لاح شبح الخطر الداهم قويا رهيبا ، ولكن المصريين صمدوا فى وجه العدو المغير وانزلوا بالصليبيين أفدح هزيمة نزلت منذ موقعة حطين ، وفرقت جموعهم قتلا وأسرا ، وأسروا الملك لويس التاسع وأمراءه وذلك فى المحرم عام ٦٤٨ هـ ابريل عام ١٢٥٠ م) .

وقد واجه العالم الاسلامى فى ذلك الوقت خطرا مروعا ، اذ خرجت جموع التتار من سهول آسيا الوسطى بقيادة جنزكيز خان واجتاحت أواسط الصين وشمال غربى الهند وخراسان ونفذت الى سهول روسيا حتى نهر الدون ، وانسابت نحو الجنوب الغربى

واجتاحت فارس فى سرعة مذهلة ، ثم اتجهت هذه الجموع البربرية نحو الشرق بقيادة عاهلها هولاكو ، وزحف التتار على بغداد وحطموا كل مقاومة واضطر الخليفة الى التسليم ودخل التتار الى بغداد دخول الحيوانات الضارية ، والوحوش الكاسرة فقتلوا مئات الألوف من الناس ، ونهبوا الخزائن والذخائر وقضوا على الخلافة العباسية وعلى معالم الحضارة الاسلامية ثم قتلوا الخليفة المستعصم بالله وأفراد أسرته وأكابر دولتـــــه فى صفر عام ٦٥٦ هـ فبراير عام (١٢٥٨ م) . وأسدل الستار على حيــــاة الدولة العباسية بعد خمسة قرون فى الحكم .

وقد الحق جنكيز خان بالعالم الاســلامى كثيرا من الأضرار ، واهان المقدسات والحرمات حتى أن مساجد بخارى التى كانت مقر التقى والورع ومصدر العلم والحكمة اتخذ فيهـــا جنزكيز خان اسطبلات للخيول المغولية وأسلم للسيف الكثير من سكان سمرقند وبلخ وساق عددا كبيرا من الأسرى المسلمين الى ساحة الموت حتى أعمل السيف فى رقابهم دون رحمة وبعد أن استولى على بخارى عام ١٢١٩ م وصف نفسه فى احدى خطبه بأنه عذاب الله أرسـله الى الناس عقابا لهم على خطاياهم .

ويقول ابن الأثير المؤرخ المعــاصر لجنكيز خان أنه كان ينتفض فرقا عند سماعه بهذه الأهوال ويود لو أن أمه لم تلده وحتى بعد مضى قرن عندما زار ابن بطوطة بخارى وسمرقند وبلخ وغيرها من بلاد ما وراء النهـر فانه وجـــدها لا تزال كومات من الخرائب والأنقاض.

وكان جنكيزخان أو تيموجبين أى الصلب المتين يقــود حملة لا اخلاقية لا دينية الى جانب غزوه العسكرى المدمر ومن ذلك أنه اباح للرجل حق شراء زوجة وله أن يتزوج من أختين ويتخذ أكثر من محظية كما ألزم التتار عند رأس كل سنة بعرض سائر بناتهم الأبكار على السلطان ليختار منهن لنفسه ولأولاده ، ودعا الى عدم

تغسل الثياب بل يجب أن تلبس حتى تبلى وجميع الأشياء طاهرة وليس ثمة شيء نجس .

واشترك مع جنكيزخان فى عدوانه ابنه تولوى الذى أظهر وحشية فظيعة فى معاملة أهل البلاد التى غزاها وخرب مدينة خراسان تخريبا شديدا وساق أهلها على النحو الذى وصفه أحد العلماء فقال « فساقوهم الى فضاء وراء البساتين كأنهم قطعان الضانية تسوقها الرعاة ، ولم يمد التتار أيديهم الى سلب ونهب الى أن حشروهم الى ذلك الفضاء الواسع والضجيج يشق جنبات السماء والصياح يسد منافذ الهواء ، ثم أمروا الناس أن يكتفوا بعضهم بعضا ففعلوا ذلك خذلانا فحين كتفوا جاءوا اليهم بالقوس وأضجعوهم على المدى وأطعموهم سباع الأرض وطيور الهوا ، فمن دماء مسفوكة ، وستور مهتوكة ، وصغار على ثدى أمهاتها مقتولة متروكة ، وكان عدة من قتل بلسان أهلها ومن انضوى اليها من الغرباء ورعية بلدها سبعون ألفا .

واستطاعت جحافل التتار أن تدخل مدينة اربل فى شمال العراق ، وفى عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م التقى جنكيزخان فى سمرقند بقادة جيوشه بعد أن دمرت أعظم سور يقف فى طريق التتار الى الشرق العربى ، وبعد ذلك بثمانى سنوات هاجم التتار مدن العراق وقتلوا كل من يقع فى أيديهم من الناس ، وبلغت أعمال التتار الوحشية ابشع صورها وأشنع فظائعها فى مدينة المؤنسة وهى قرية بالقرب من الموصل ، أما هولاكو حفيد جنكيزخان فانه قاد موجة الزحف العارم للمغول فاكتسح أقاليم واسعة من أسيا وحطم كثيرا من المدن ، وأسلمها طعمة للنيران ومحى من الوجود السواد الأعظم من سكانها ، وكانت الروائح الكريهة تنبعث من الجثث التى كانت مبعثرة دون دفن فى الشوارع وأراد أن يتخذ « بغداد » عاصمة لملكه لأن تدميرها لم يكن تاما كما حدث فى البلاد الأخرى .

وفى عام ١٢٦٠ كان هولاكو يهدد شمال سوريا وقد استولى هناك على حماة وحارم وذلك بعد استيلائه على حلب التى قيل أنه أسلم فيها عددا يقرب من خمسين الفا من السكان الى السيف .

ولم يكد هولاكو يفرغ من غزو الشام حتى وضع خطته لغزو مصر وعهد بتنفيذ خطته الجهنمية الى زميليه كتيفانوين ، وبيدر ، وفى صباح يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان عام ٦٥٨ هـ (٦ سبتمبر عام ١٢٦٠ م) نشبت بين جيوش التتار وجيوش الأمير ركن الدين بيبرس معركة حامية فى مكان يقع بين بيسان ونابلس عند قرية عين جالوت ، وكان التتار يحتلون أماكن مرتفعة فانقضوا على المصريين بقوة حتى أوشكت أن تتفرق صفوفهم ، واضطرب نظامهم وكادت تلحقهم الهزيمة ولكن السلطان بادر باستئناف القتال وشن هجومه بقوات القلب وهو يصيح (وا اسلاماه) وأيدته قوات الجانبين بعنف وسرعان ما اختل توازن التتار وارتدوا نحو التلال الواقعة على مقربة من بيسان وقتل قائدهم كتبغا خلال المعركة وأسر ابنه .

وقد اشترك الملك المظفر قطز بنفسه فى هذه المعركة وواجه هجمات التتار المتوالية دون أن تضعف له ارادة ، ولم تضعف روحه المعنوية انتصارات التتار الوقتية ويقال ان الجواد الذى كان يمتطى صهوته سقط من تحته فتنازل له أحد الفرسان عن فرسه ومضى يواصل القتال فى عزم لا يلين ، وصاح فى الجنود « وا اسلاماه » (يا الله انصر عبدك قطز على التتار) .

وحقق الله عز وجل دعاءه فانتصر المصريون على التتار وردوا غائلة هذا العدوان الأثيم ، وصدوا هذا الخطر الداهم الذى يتربص بهم ، وقد نزل السلطان من على فرسه عقب انتصاره ومرغ وجهه على الأرض وقبلها وسجد لله شكرا على ما أولاه الله من نصر وحمل رأس كتبغا نوين قائدالتتار الى مصر ففرح الناس بهذا الفوز العظيم .

وهكذا استفاد المصريون من الهزيمة واستطاعوا أن يحولوا النكسة الى نصرة ، وطردوا التتار من ديارهم شر طردة .

الفصل الثالث

طــرد الــهكســوس

ومن يرجع إلى العصر الفــرعونى يجد مصر تتعرض لخطر جسيم كذلك الخطر الذى تعرضت له من جانب التتار فى القرن الثالث عشر الميــلادى ، وأعنى بذلك الخطر خطر الهكسوس عام ١٧٠٠ ق.م . وقد هاجمت جحافل الهكســـوس ارض مصر فى أواخر الدولة الوسطى وكانوا مجموعة مكونة من هجرات الشعوب الجبلية الشمالية الهندية والأوربية من أوطانها المتمدة فى اواسط آسيا وحول بحر قزوين ومنها القبائل الكاشية التى نزلت من فوق الجبال الشاهقة التى تحــد بابل من الشرق وقد هاجمت هــذه القبائل أرض مصر فى عنف وقسوة واستخدمت سلاحا حربيــا جديدا لم يكن موجودا من قبل وهو العربة والحصان فبثت الرعب فى قلوب المصريين وأثارت الهلع فى صفوفهم ، فقد كان هذا السلاح الجديد يستعمل لأول مرة فى الحروب »

ورغم هذا كله فان الشعب المصرى هب فى وجه الهكسوس وحاربهم محاربة باسلة ، وليس صحيحا أن الهكسوس لم يجدوا مقاومة من الشعب المصرى لأنهم كانوا فى ثورة واضطراب من ناحية كما كان فيهم الوباء من ناحية أخرى . فقد أثبتت الوثائق العلمية أن المصريين قاوموا بعنف هجمات الهكسوس ولم يستطيعوا الاستمرار فى التوغل فى وادى النيل بعد أن احتلوا الدلتا ومصر الوسطى حتى ملوى جنوبا وفرضوا الجزية على مناطق الصعيد .

وقد قاد « كاموزة » حملة لطرد الهكسوس من مصر وصاح فى شعبه قائلا : ألا فليعلم أهل طيبة أن كاموزة سينقذ مصر ، لن يرتاح قلبى حتى أخرج الى الاسيوى لأصارعه ، وأبقر بطنه بيدى ، ان رغبتى هى تحرير مصر والقضاء على الأسيويين ، سأخرج اليهم بأمر آمون فهو وحده صادق النصيحة .

واستطاع كاموزة ان يحرز الانتصارات الرائعة ضد الهكسوس وذاعت شهرته كما تقول الوثائق كمنقذ لمصر ، وأصبح الجميع يرهبون بطشه حتى أن النساء أصبحن لا يحملن وأصابهن العقم وانهن كن ينظرن اليه من فوق أسطح المنازل ومن النوافذ كما تفعل صغار الحيوانات المفترسة عندما تنظر الى المارين من مغاراتها ، وقد خرج كاموزة من نصر الى نصر واستولى على مئات من السفن التى كانت تحمل النفائس مثل الذهب والفضة واللازورد .

وقد واصل الأخ الأصغر لكاموزة محاربة الهكسوس بعد أخيه وهو « احموزة » وعلى يديه خرج الهكسوس نهائيا من مصر ، وقد اندفع احموزة على رأس جيش كبير الى الشمال وتساقطت أمامه القلاع والحصون قلعة اثر قلعة وحصنا بعد حصن حتى بلغ « أواريس » وكانت معقل الهكسوس التى يتحصنون بها ويشنون منها غاراتهم على البلاد ، ولم تكد تبدو طلائع جيش احموزة حتى انقذف الرعب فى قلوب الهكسوس وولى العدو الأدبار فسارع احموزة بجيشه اللجب الجرار ولحق بالهكسوس عند حصن فى

جنوب فلسطين يطلق عليه « شاروهين » وكان حصنا ذا منعة عظيمة وقوة جبارة بيد أن هذا لم يصرف احموزة عن مهاجمته وظل يحاصره ثلاثة أعوام كاملة دون أن يتسرب الوهن الى جيشه أو يسرى اليأس فى قلبه حتى سقط الحصن فى يد أحموزة واستطاع أن يقضى قضاء مبرما على غارات الهكسوس الذين تفرقوا فى أقاليم الشرق وقد أدركهم الرعب ، واستبد بهم الهلع وهم يجرون أذيال الخيبة والخسران . ولم يطردهم احموزة من مصر فحسب انما طردهم من العالم الشرقى بعد أن أعطاهم درسا قاسيا عنيفا ، ولم تصرفه الانتصارات الوقتية التى أحرزها عن متابعة الكفاح ومواصلة الحرب ، كما لم تصده النكسات التي صادفها جيشه عن الاصرار على الظفر والانتصار .

الفصل الرابع

من تاريخ أوربا

ومن يرجع الى تاريخ أوروبا يجد أمثلة واضحة جلية تؤكد أن النكسات قد تعقبها الانتصارات وأن الحرب مجموعة من المعارك لا معركة واحدة ، وتاريخ أوربا القديم والحديث حافل بالنماذج الحية ، وقد عبر السيد الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك حين قال : « ان هناك دولا كبرى تعرضت للعدوان الثانى واكتسحها هتلر فى أيام معدودات بيد أن الدائرة لم تلبث أن دارت عليه وخسر الجولة الأخيرة بعد أن كسب الجولة الأولى بانتصارات موقوتة » .

ويقول الرئيس عبد الناصر « احنا مش أول ناس انضربنا ؟ فرنسا انضربت ، انجلترا انضربت ، امريكا انضربت فى بيرل هاربور ؟ وروسيا الالمان وصلوا لغاية ١٠ كيلو من موسكو ، احنا مش أول ناس خسروا معركة » .

ويضيف قائلا « الأمريكان انضربوا فى بيرل هاربور وهربوا ؟ والانجليز مشيوا من دنكرك عريانين ، كانوا بيطلعوا بقوارب الصيد، وفرنسا وقعت فى ١٠ أيام اللى واقفين ضدنا النهارده ، وهولندة راحت فى يوم وبلجيكا راحت فى يوم ، أوربا الغربية كلها راحت وكلنا نذكر الخطب اللى انقالت خطبة تشرشل بعد دنكرك وقال احنا قوقعة فقدت الغلاف اللى يحميها ؟ ! » .

فالمعروف ان هتلر استطاع أن يحرز انتصارات هائلة فى أوربا بيد أن الدوائر لم تلبث أن دارت عليه ومنى بهزيمة نكراء .

انه فى الاثنى عشر عاما التى قضاها هتلر فى الحكم لم يحتج على ما كان يفعل أى حزب سياسى أو ناد أو جامعة لأنه كمم الأفواه وأخمد الأنفاس ولم ترفع طائفة من الطوائف عقيرتها عالية محتجة على الحرب أو على المعاملة الوحشية لليهود أو على السيطرة التامة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وقد أحتج الأساقفة الكاثوليك ورجال الكنيســة البروتستانتية على تدخل الدولة فى شــئون الكنيسة لا على النظام الاجرامى فى حد ذاته ، أما تلك الجــرائم الوحشية فقد ارتكبها جنوده الذين أخذت صور بعضهم والسجاير بين شفاهم المفترة فى ناحية ما من بولنــدة وهم يستقلون مركبة يجرها عشرة من الشيوخ اليهود ذوى اللحى الطـويلة . والذين ضربوا بالمدافع الرشــاشة الهائمين على وجوههم من النســاء والأطفال فى طرق فرنسا عام ١٩٤٠ ، والذين احرقوا « لوتش » وأحالوها رمادا وقتــلوا الأهالى جميعا ، والذين خنقوا عشرات الالوف من الاهالى فى سيارات شحن موصدة مختومة ، وذبحوا بعشرات الالوف أمام قبور اضطروا أن يحفروها بأنفسهم ؟ !

لقد ارتكب النازيون أهوالا فى أوربا تشيب منها الولدان بيد أن القــدر كان لهم بالمرصاد فدالت دولتهم وسقط كما تسقط أوراق الخريف . ومن المعارك التى عجمت عود هتلر معركة الرين

كيف تم عبور الرين وفقا لخطة موضوعة ، وفى الجنوب عبره القائد باتون . اما فى الشمال حيث حشد الالمان جموعهم منتظرين فقد شق مونتجومرى طريقه بالمدافع الضخمة والدبابات المائية وباسطول كبير من الزوارق الصغيرة ، وفى اليوم التالى فاجأ مؤخرة الألمان أعظم جيش حملته الطائرات وقد ملأت طائرات النقل والسابحات أميالا من الجو طبقة فوق طبقة وعلى مدى النظر ، وكان جنود المظلات يهبطون مثل الأوراق المتساقطة ، وانحلت المقاومة الالمانية بعد ذلك وانتهى الدور الحاسم فى حرب اوروبا الغربية .

بل ان دهاء هتلر لم ينقذه من الخطة المحكمة التى اتبعها الحلفاء فى غزو اوروبا ، فقبل أن يبدأ نزول هذه الجيوش انطلق سرب من الطائرات البريطانيــــة فوق الهافر والقى رجاله عشرات من دمى مصنوعة من خشب تمثل جنود المظلات بمظلاتهم فنزلت تتهاوى فى المنطقة التى تحيط بمدينة « فيكاسب » وذهبت طائرات اخرى فى نفس الوقت تلقى دمى فى منطقة شربورج على يمين البقعة التى تم فيها حقا نزول الجنود الذين حملتهم الطائرات وقد القى مع الدمى قدر كاف من رقائق الألومونيوم لكى يتوهم المكدودون من رجال الرادار الألمانى أن الهجوم بالمظلات أعظم مما يلوح عشرين ضعفا .

وان التاريخ ليسجل ذلك اليوم المشهود الذى ضربت فيــــه ميناء بيرل هاربور بالقنابل فى صورة رهيبة . ولكن ذلك لم تكن نقطة حاسمة فى توجيه الحرب واجتــــلاب الهزيمة ، وقد ضرب الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور ضربات قوية فتاكة فى ٧ ديسمبر عام ١٩٤١ وكانت الطائرات الأمريكية محشودة فى المطارات فسهل قذفها كما كانت بوارج الأسطول تقريبا فى المينــاء . وقد اغارت الطائرات اليابانية على الميناء من وراء السحب فوق جبال كولاو التى يبلغ ارتفاعها ٢٨٠٠ قدم فى وقت مناسب للهجوم اذ تستطيع الطائرات فى مثل هذا الوقت من السنة أن تدنو محتجبة بالسحب

الماطرة المتلبدة ثم تبرز فجأة فى الجو الصافى فوق بيرل هاربور قبل أن تتمكن الطائرات المدافعة من التحليق فى الجو لمقابلتها .

وقد أحدثت تلك الغارات دمارا هائلا فى بيرل هاربور لا يزال الأمريكيون يرددون انباءه حتى اليوم .

وهناك معركة دنكرك التاريخية التى أشار اليها السيد الرئيس فى خطابه يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٦٧ والتى انقضت فيها قاذفات القنابل الألمانية من طراز (شتوكة) المزودة بصفارات مزعجة رهيبة على المدينة الآمنة فى صورة مروحة منتشرة الأجنحة تحيط بالميناء من دنكرك ولابان ، لمسافة أكثر من ١٤ كيلو مترا كما ألقت القنابل على السفن الراسية فى الميناء ، فتركت البحارة يسبحون فى خضم من الزيت والدماء والماء ، وامتدت اليها ألسنة اللهيب فخرج الجنود مجردين من ملابسهم فى حالة شديدة من الرعب والفزع تتفتت منها الأكباد ، وأخذوا يتلمسون الفرار ، وبلغ عدد القتلى والجرحى نحو ٦٨ ألف جندى خلال الانسحاب من مجموع الجيش البالغ ٣٩٠ ألف جندى .

وخسرت بريطانيا فى هذه المعركة أكثر من ٢٠٠ سفينة ، ١٧٧ طائرة ، ولكن هذا كله لم يثن الشعب البريطانى عن مواصلة الكفاح فى تلك الآونة الخطيرة وعقد العزم على العمل وبذل العرق والدموع حتى النصر الأخير .

فالأمثلة اذن كثيرة فى التاريخ العربى والتاريخ الأوربى ، والأمثلة كثيرة من الأنصار والخصوم ، ومن الأصدقاء والأعداء . فالحرب ليست معركة واحدة وليست مواجهة وحيدة ، انما الحرب سلسلة متصلة من المعارك حتى يعلو صوت الحق ويرتفع صوت الانتصار فى المعركة فوق كل صوت ؟ !

الباب الرابع

لكى نسقط الحمامة

الفصل الأول

إعادة البناء العام

لكى نسقط الحمامة ونحبط خطتها لا بد ان نتخذ خطوات صادقة امينة فى هذا الصدد ونعيد بناء كياننا العسكرى والسياسى والاقتصادى ، ونتلافى أخطاء الماضى ، ونؤمن ان صوت المعركة فوق كل صوت . ونحشد كل قوانا العسكرية والاقتصادية والفكرية على خطوطنا مع العدو لتحرير الأرض وتحقيق النصر ، وتعبئة كل جماهيرنا بما لها من امكانيات وطاقات كامنة من أجل التحرير والنصر ، ومن أجل آمال ما بعد التحرير والنصر .

وفى هذا يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى بيان ٣٠ مارس :
« ان المعركة لها الأولوية على كل ما عداها . وفى سبيلها .. وعلى طريق النصر فيها يهون كل شىء ويرخص كل بذل ، مالا كان أو جهدا ، أو دما ، ومهما كان السبيل الذى نسلكه الى تحرير

الأرض وتحقيق النصر فانه يصبح سبيلا مسدودا بغير استعداد للمعركة » .

وقد استطعنا ولله الحمد تعويض الأسلحة التى فقدناها فى المعركة وقررنا انشاء وحدات جديدة فى الجيش حتى تقابل قوة اسرائيل وجها لوجه ، ولا تكون قوة اسرائيل متفوقة علينا فى البر أو فى الجو .

ولقد كنا عام ١٩٥٥ نملك مالا لشراء الأسلحة غير أن الغرب رفض أن يمدنا بالسلاح ولكن الاتحاد السوفيتى اليوم يمدنا بالسلاح دون مقابل ودون شروط ودون أى لون من ألوان الضغوط أو الاكراه .

فاعادة بنائنا العسكرى شىء ضرورى بالنسبة الينا ، غير أن المسألة لا تقف عند الأسلحة والمعدات ، والدبابات والطائرات ، وعنصر التكنولوجيا الذى لا يمكن نغافل أثره أو تجاهل خطره ، انما لا بد من تدريب أبناء الجيش تدريبا سليما على هذه الأسلحة ، وبث الروح المعنوية العالية فى الجيش ، وهذا ما حدث فعلا فان أبناء القوات المسلحة اليوم يقومون بدورهم فى التدريب على احسن وجه ، وكلهم يؤمن بأن من واجبه المقدس الدفاع عن وطنه حتى آخر قطرة من الدماء ونسمة من الأنفاس .

وأبناء القوات المسلحة اليوم قد عرفوا واجبهم حق المعرفة وهم يلتفون حول الرئيس عبد الناصر من كل جانب ويؤيدونه فى سياسته .

ان البناء العسكرى ضرورة قصوى من ضرورات المعركة ، ولا ينبغى أن تكون صورة النكسة هى الصورة الماثلة دائما فى أذهاننا ، فان هذه الصورة على حد تعبير الأستاذ الصحفى الكبير محمد حسنين هيكل تكاد أن تكون صورة لموقف معين وغير ملائم وجدت فيه الأمة العربية نفسها فى وقت من الأوقات ، والصورة

الفوتوغرافية فى حقيقتها هى عدسة التصوير تمسك بلحظة من الزمان وتجمدها ، أى أن الصورة ليست هى الحياة وحركة من حركاتها ، والصورة بعد ذلك تبقى ضمن الذكريات ـ الحلوة أو المرة ـ لكن الحياة لا تتقيد بها ولا تظل الى الأبد جامدة عند حركتها العابرة .

وقد ذكر القائد العسكرى البريطانى الشهير المارشال مونتجمرى فى حديث له : لكى تستطيع أى دولة أن تحقق انتصارا عسكريا حاسما على أى دولة أخرى فى هذا العصر الذى نعيش فيه فانه لا بد من ثلاثة شروط :

ـــ هدف مرغوب فى تحقيقه سياسيا .

ـــ ممكن تنفيذه عسكريا .

ـــ سهل تبريره معنويا عالميا .

وبالنسبة الى العرب فهناك هدف مرغوب فى تحقيقه سياسيا ولا بد أن يكون هذا الهدف ممكن التنفيذ عسكريا ، وهذا ما عملنا عليه وسعينا فى سبيله وقمنا باعادة بنائنا العسكرى من جديد ، ومواجهة الخصم فى قوة وعزم واصرار ، وهذا الهدف ما يمكن أن نقوم بتبريره معنويا ، ونحشد جميع طاقاتنا الاعلامية فى سبيل ذلك . كما نقنع الدوائر العالمية والمجتمعات الدولية بعدالة قضيتنا وقوة حقنا . ويجب أن نؤمن بأن المنطقة العربية التى احتلها العدو أكبر من طاقته فى أن يمد نفوذه عليها وأوسع من سلطانه لكى يستمر البقاء فيها ، فان القوة العسكرية مهما ارتفع شأنها وقوى ساعدها لا تستطيع أن تعمد الى صيانة مطامعها دائما بقوة السلاح فقد عجزت الولايات المتحدة الأمريكية عن حصار الصين بل لقد عجزت عن أن ترد غارات الفيتناميين المتواصلة ، ولم تستطع الوصول الى حل سريع لانقاذ زهرة شبابها من التردى فى مهالك الفيتناميين رغم تلك الأصوات المرتفعة الصادرة من آلاف الأسر

الأمريكية ورغم تلك المظاهرات الصاخبة ، والمسيرات الغفيرة للشعب الأمريكى لوقف حرب فيتنام ؟ !

ولم يستطع ۲۰۰ مليون أمريكى مهما كان لهم من عدة وسلاح أن يفرضوا ارادتهم على ۸۰۰ مليون صينى ، كما لم يستطع أكثر من مليون جندى أمريكى من قهر ١٦ مليون فيتنامى فى الجنوب .

فان الكتلة البشرية الهائلة لهذه الشعوب لم تستطع الأسلحة الفتاكة أن تجبرها على الخضوع كما لم تستطع الغارات المدمرة ان تدفعها الى الاستسلام .

وبنفس المنطق العسكرى نستطيع أن نقول أن مليونى اسرائيلى لا يستطيعون هزيمة ۸۰ مليون عربى ؟ !

ولكن هذا لا يدفعنا الى الغرور والكبرياء فالروح المعنوية العالية واجبة من أجل تحقيق النصر .

وقد قسم « كلاوزفتز » الروح المعنوية فى الجيش الى الفصيلة العسكرية للجيش والشعور القومى وكفاية القائد .

والفصيلة العسكرية تأتى من المعارك العديدة الظافرة ، والقيادة الماهرة لا تزعزعها عواصف الهزيمة أو يثبطها سوء الحظ .

والشعور القومى هو الايمان الذى يخالط الجند ، وهو ما عبر عنه العلامة «فون درجولتز» بأن لاتقهر الخصم بتدمير وجوده فقط وانما بابادة آماله فى الانتصار ، أو بما عبر عنه القائد « بسمارك » حينما رأى بقعة من الدهن على غطاء المائدة فقال لأصحابه : كما تنتشر هذه البقعة فى النسيج شيئا فشيئا ، كذلك ينفذ الشعور باستحسان الموت فى سبيل الدفاع عن الوطن .

فالروح المعنوية أمر ضرورى بالنسبة الى البناء العسكرى والكيان الحربى وحينئذ نستطيع ان نجعل العمل الذى نقوم به

عملا مسئولا .. ونقدم على المعركة والعمل الذى نقدم عليـه يكون مسئولا .

وهذه حقيقة ثابتة يجب أن نضعها نصب اعيننا اذا ما أردنا احباط خطة الحمامة بحذافيرها ، ونقضى عليها قضاء مبرما .

واذا ما تحدثنا عن الكيان العسـكرى فيجب أن نتحدث عن الكيان السياسى ، وغير خاف أن العـدو كان يستهدف الكيان الداخلى فى حرب يونيو ، وكان يريد ان يزعزع كيان الجبهة الداخلية من أجل تحقيق أهدافه وتنفيذ خطة الحمامة فى العـدوان على العرب ولكن زحف الجماهير الجارف يومى ٩ ، ١٠ يونيو أكد أن الاستعمار قد فشل فى خطته وأن الشعب العربى قد التف حول قائده التفاف السوار بالمعصم ، ولم يشأ أن يفرط فيه قيد شعرة ؛ ولقد قمنا على أثر ذلك بوضع برنامج ٣٠ مارس وأجرينا انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة على مختلف المستويات دون ضغط او اكراه ودون أى لون من ألوان القيود أو الايثار .

ولقد كان لا بد لنا أن نفرق بين **مصر الدولة ومصر الثورة** حتى لا يختلط الأمر فلا نسـتطيع أن ندرك اخطاءنا ، ونتبـين اغلاطنا .

نعم كان لا بد لنا ان نفرق بين مصر الثورة ومصر الدولة وهذا ما حدث فى انتخاب الاتحاد الاشتراكى حيث ظهرت القيـادات الشعبية الجديدة جنبا الى جنب مع الوزراء وكبار المسئولين .

وهنا يجب أن نشير الى دور التعبئة الروحيـة الى جانب التعبئة العسكرية وأعنى بها تعبئة الشباب بالمثل الرفيعة والقيم الفاضلة حتى لا يفقد مبادئه ويشعر انه يسير فى متاهات مظلمة وطرق ملتوية مسدودة ، ومسارب مجهولة فى سبيل الحياة ، وأن التعبئة الروحية ضرورية بجانب التعبئة العسكرية حتى تستطيع

القــدرات الخلاقة من الشباب أن تصــل الى أعلى مراتب السمو واسمى درجات الكمال .

ولقد كان الشباب فى الآونة الأخيرة يشعر بتمزق شــديد ، فجاء بيان ٣٠ مارس واكد ضرورة الاهتمام بالشباب والعمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية واتاحة الفرصة أمام الشــباب للتجربة .

وكل هذه وسائل تعيد الثقة فى الشباب وتدعم البنيان القومى وتهيىء لنا مواجهة الخصم فى قوة وثبات ، وتنفيذ خطتنا لاسقاط الحمامة فى حبكة واحكام . وتكوين الدولة العصرية التى نادينا بها بأدق معانى هذه الكلمة وأوسع مدلولات هذا اللفظ والدولة التى تؤمن بالعلم وتستطيع أن ترد الحياة الى هذا الشعب الأصــيل ليسترد انفاسه اللاهثة بعد النكسة .

الفصل الثانى

عـروبتـنا أولاً

لكى نسقط الحمامة ونحبط خطتها يجب أن نتمسك بعروبتنا ونؤمن بأن هذه الوشيجة عروة وثقى نستطيع أن نقتحم بها الاهوال وننتصر على أعدائنا ونتخطى بها كل الحواجز والعقبات ، ومن أجل ذلك يجب أن نصفى خلافاتنا ، ونؤمن بالعمل الواحد المشترك . فان ما يطمع اليه العدو المتربص بنا أن يفرق وحدتنا ، ويشتت كلمتنا ، ويفرق صفوفنا .

وعندما نقول أن مصر قطعة من الوطن العربى الكبير لا نقول ذلك على سبيل المجاملة ، ولا نقول ذلك من أجل التقرب أو التحبب ولا نقول ذلك أيضا من قبيل الرسميات حيث اقترح برنامج ٣٠ مارس النص على عروبة مصر فى دستورها المقبل ، انما نقول ذلك على سبيل التأكيد التاريخى والبحث العلمى السليم . ويكفى أن نرجع الى تاريخ الفتح العربى على يد عمرو بن العاص لتظهر لنا هذه الحقيقة جلية واضحة للعيان .

ويقول ابو الفرج الاصفهانى فى كتاب الاغانى ان بعض بطون خزاعة خرجوا من الجاهلية الى مصر والشام لان قحطا شـديدا وجدبا عظيما حل بالجزيرة العربية ، وعندما غزا الفـرس مصر وجهزوا حملة قوية لفتح البلاد اشترك فى هذه الحملة عدد كبير من العرب عام ٦١٦ م .

ويقول الاستاذ ميلن فى كتابه « مصر تحت حكم الرومان » ان جيش الفرس كان مكونا من عدد كبير من القوات العربية ، فلم يلقوا مشقة فى حكم مصر اذ ان عددا كبيرا من أثرياء البـلاد كانوا ينتمون بصلة القربى الى العرب الفاتحين .

وفى عهد عمر بن الخطاب انتقلت بعض قبائل غسان برئاسـة ابى نور بن عامر بن صعصعة الى مصر ، ومنحهم حاكم مصر منطقة من اخصب المناطق لاستيطانها وهى منطقة « تنيس » .

واشترك فى الفتح العربى عدد من القبائل العربية من قريش والأنصـار ومزينـة وخزاعة وأشجع وجهينـة وثقيف ودوس وليث وعرفوا فى مصر باسم اهل الراية أما قبيلة همدان فانهـا آنست الى منطقة الجيزة فألقت رحالها بين جنباتها ، وحاول القائد العربى عمرو بن العاص ان يغرى قبيلة همدان الوافدة باستيطان الفسطاط لتدعيم كيانها وجعلها مصدرا للسلطة ومركزا للقوى ، بيد أن همدان رفضت ان تنتقل من الجيزة فاضطر عمرو بن العاص الى مخاطبة الخليفة فى شأنهم فنصحه ببناء حصن فى الجيزة .

وسكن بنو عقبة وهم قبيلة من جذام ما بين ايلة وحوف مصر كمـا يقول المقريزى فى البيان والاعراب كما توجه قوم من جذام ولخم الى الاسكندرية .

ويقول المقريزى فى كتابه « البيان والاعراب » : « وجهينة أكثر عرب مصر وهؤلاء كانوا يسكنون حول أسيوط ، وما بعدها وفى الفيوم نزل بنو كلاب ومن منية غمر الى زفيتا سكن سعود جذام وأكثرهم مشايخ البـلاد وخفراؤها ولهم مزارع ، وانتقلت طوائف

من قزارة الى الغربية وقليوب ، وفى الدقهلية سكن عرب ينتسبون الى قريش وسكن حول تنيس ودمياط قوم ينتسبون الى نصر بن معاوية وهم من هوازن وكان لهم شوكة شديدة بأرض مصر » .

فالحقائق التاريخية اذن تثبت عروبة مصر ، التى لا يرقى اليها الشك ، ولا تتطرق اليها الريبة . ولكن الامر لا يقف عند حد « الجنس البشرى » وتوزيع القبائل العربية ، وتقسيم الجغرافيا الجنسية انما هناك تاريخ مشترك ، ولغة مشتركة هى لغة القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهناك الكفاح المشترك والنضال المتصل الذى اشتركت فيه الامم العربية جميعا ضد قوى الاستعمار ، فان اعتمادنا فى الدفاع عن أنفسنا على غيرنا من الاتراك العثمانين أو سواهم أدى الى السيطرة الأجنبية والى ضياع استقلالنا ، كما أن تدخل فرنسا عام ١٨٣٠ فى الجزائر كان لمساعدة فرنسا ضد محمد على ، وكان قبول محمد على واتفاقه مع فرنسا على قيام هذا الاحتلال لنفس الاسباب فى المساعدة ضد الباب العالى ، أما قبول السلطان العثمانى احتلال الانجليز لعدن عام ١٨٣٩ فانما كان ثمنا لمعاهدة لندن عام ١٨٤٠ التى ردت القوة المصرية الى داخل الديار المصرية كما دخل الاستعمار الغربى الى الشرق العربى على زعم حماية العرب واستخلاص استقلالهم من قبضة العثمانيين حتى ضاع استقلال العرب وقسمت بلادهم طبقا لاتفاقية « سايكس بيكو » بين فرنسا وانجلترا عام ١٩١٦ .

ومن هنا فان التمسك بعروبتنا هو الخلاص لنا من كل سيطرة أجنبية ، فلا يستطيع دخيل أن يمرق الى صفوفنا ، ولا يستطيع خائن أن يقترب من صفوفنا ولا نتيح أى فرصة لتسرب الاستعمار الى ديارنا .

وحينئذ يشتد ساعدنا ونستطيع أن نصمد أمام اعدائنا ونحبط خطة الحمامة التى لا بد أن تهوى الى الأرض لا حراك بها .

الفصل الثالث

مواجهة الضغوط الاقتصادية

ومن أجل احبــاط خطة الحمامة ايضــا لا بد لنا من مواجهة الضغوط الاقتصادية عليها فى ؤوذ وثبات ، وتحويل اقتصادنا لى اقتصــاد حرب ، وتحمل ميزانية الطوارىء بصــدر رحب ونفس راضية مرضية ، وسد النقص الذى نحسه فى العملة الصعبة عن ضغط الاستيراد والاكتفاء بالضرورات القصوى وضغط مصروفات الدولة والتوسع فى زيادة الانتاج وتحسينه للتصدير وتوســيع هيكل التجارة الخارجية ، وتحقيق التكافل الاقتصادى بين البلاد العربية واستخدام البترول العربى كســـلاح ايجابى فى المعركة والاستفادة من عائده فى المشروعات الكبرى ، وتكوين احتياطى من النقد الاجنبى يسمح لنا بحرية الحركة ومواجهة كافة الضــغوط المحتملة والحصار الاقتصادى وتكوين احتياطى غير عادى من المواد التموينية وتقليل وضغط المصروفات الحكومية الى أبعد مدى ، واعداد الجماهير لتقبل صنوف التضحية من اجل بنــاء المرحلة

القـادمة ، وتأجيل الانفـاق فى الخدمات ، والالتزام بالصـناعات الاستراتيجية الضرورية للبناء الحربى .

وكل هذه الاجراءات لا مفر منهـا ولا مندوحة عنهـا لمواجهة الخسائر التى ادركت ميزانيتنا والتى حددها المسئولون ومنها ايرادات قناة السويس ، وايرادات السياحة ، والخسائر فى الثروة المعدنية فى سيناء من بترول وفحم ومنجنيز ، فضـلا أن عمليات تهجير الأهالى كلفت الدولة وزادت الانفاق من أجل مقابلة أغراض الدفاع القومى .

ولاشك أن كل الخطوات لو تمت استطعنا الصمود ازاء أعدائنا وبالتالى استطعنا أن ننفذ خطتنا فى اسقاط الحمامة وتدمير تلك الخطة السرية فى الاعتداء على العرب .

ولقد اثبت الشعب العربى فى مصر انه قادر على تحمل كثير من الأزمات فى مناسبات مختلفة ، ومن ذلك أنه استطاع مواجهـة عمليات الاستعمار لتجويع الشعب المصرى وعدم تصدير صـفقة القمح له ، كما واجه عمليات سحب مشروع السد العالى ، ولكن القيادة الرشيدة استطاعت أن تخرج من هذه الأزمات قوية ثابتة ، ولم تنجح محاولات الاستعمار فى حرب التجويع ، فان اتفاقية القمح التى بمقتضاها تبيع الولايات المتحدة لنا قمحا قيمته السنوية ستون مليونا من الجنيهات ندفعها بالعملة المحلية كانت مدتها ثلاث سنوات تنتهى فى عام ١٩٦٥ وفى أواخر عام ١٩٦٥ جددت هذه الاتفاقية ستة أشهر وتقدمنا فى فبراير عام ١٩٦٦ بطلب تجديدها لضمان الحصول على القمح لستة اشهر اخرى ولكننا لم نتلق ردا مما جعل مصر تعلن أنها تعتبرها ملغاة .

واستطعنا أن نخرج من الورطة ، ومرت الأزمة بسلام ، ولم نشعر فى يوم من الايام أننا لم نجد رغيف الخبز .

وهذه المحن مر بها الشعب العربى على طول المدى بل لقـد حدثت عدة مجاعات فى تاريخ مصر بيد انها استطاعت التغلب عليها

ومن ذلك ما حدث في عهد كافور (٣٣٤ ـ ٣٥٧ هـ) حيث انخفض ماء النيل واشتد القحط ، وانتشر الوباء ، وندر القمح ، وكذلك في عهد الخليفة المنتصر لدين الله الفاطمى (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ) وتعرف الشدة التى امتحنت بها مصر فى تلك الآونة « بالشدة المستنصرية » فندرت الغلال وعز القوت وزاد القحط ، وانتشرت هذه المحنة سبع سنوات وزادت فى عامى ٤٥٩ ـ ٤٦٠ هـ وظل الأمر على ذلك حتى وفر بدر الدين الجمالى للشعب الطعام والكساء .

وفى عهد السلطان العادل « كتبغا » عام ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) توقف النيل ونقص نقصا كبيرا وفات على الفلاحين أوان الزرع وندرت المحاصيل وزاد الحالة شدة أن ريحا سوداء مظلمة هبت على مصر من بلاد برقة حاملة ترابا أصفر كسا الزرع وعمت تلك الريح أقاليم البحيرة والشرقية والغربية وفقدت المزروعات الصيفية كالأرز والسمسم والقلقاس وقصب السكر .

وكان الشعب يواجه الازمات بروح سليمة لا تصدعها الاحداث وتعاون الشعب مع الدولة فى رد غائلة هذه الازمات . وفى عهد الخليفة الناصر محمد أمر نجم الدين محمد بن حسين محتسب القاهرة وعلاء الدين على بن المروانى والى القاهرة بالطواف معا على الطواحين والخبازين وأمر السلطان أن ترسل الغلال الى مصر من دمشق وغزة والكرك والشوبك وأمر الا يباع الاردب من القمح بأكثر من ثلاثين درهما وطلب الى الأمراء عدم مخالفة ذلك والتشدد مع المخالفين . حتى قيل أنه عاقب سمسارى الاميرين «قوصون» و«بشتاك» بالضرب المبرح لبيعهما الخبز بأكثر من السعر الذى حدده ، وكانت نتيجة ذلك أن خفت حدة المحنة ، واستطاع الشعب أن يجد قوته فى سهولة ويسر ودون جهد أو عناء . وبسعر معقول .

ويقول المقريزى فى كتاب السلوك ج ٢ ص ٤٤٦ « وطلب الناصر الأمير « قوصون » بحضرة الأمراء وصرخ عليه : ويلك ! أنت تريد أن تخرب على مصر وتخالف مرسومى . وسبه ولعنه ، وشهر عليه

السيف ، وضربه على رأسه وأكتافه وصاح : هاتوا استادرة « اى قابض المال بالفارسية » فتسارع النقباء لاحضاره ، ومن شدة غضب السلطان صار يقوم ويقعد ويقول « هاتوا استادرة » حتى خرج أمير مسعود الحاجب الى باب القلعة ، وارتجت القلعة بأسرها وخاف الامراء كلهم لشدة ما رأوه من غضب السلطان ، ثم حضر قطلو استادرة قوصون فأمر بضربه بالمقارع ، ثم أمر به فبطح بين يديه وضرب ، فلم يتجاسر من بعدها أحد من الأمراء أن يفتح شونته الا بأمر المحتسب » .

وهكذا استطاع المصريون أن يواجهوا المحن الاقتصادية التي مرت بهم بثبات وشجاعة ، وضربوا على ايدى العابثين المضللين ، والايدى الخفية والظاهرة التي تعبث باقوات الشعب ، وكان لهم من رؤسائهم والسلف الصالح أسوة حسنة ، فقد روى عن أسلم قال : اصاب الناس سنة غلا فيها السمن فكان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يأكل الزيت فيقرقر بطنه فيقول « قرقر ما شئت فوالله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس » .

ثم قال : اكسر عنى حره بالنار فكنت أطبخه له فيأكله .

وعن انس قال تقرقر بطن عمر عام الرمادة فكان يأكل الزيت وكان قد حرم على نفسه السمن فقال : فنقر بطنه باصبعيه وقال تقرقرانه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس ؟ !

وعن الحسن رحمه الله قال : خطب عمر فى الناس وهو خليفة وعليه ازار فيه اثنتا عشرة رقعة .. وعن انس قال نظرت فى قميص عمر رضى الله عنه فاذا بين كتفيه أربع رقاع لا يشبه بعضها بعضا .

وعن نافع قال سمعت ابن عمر يقول : والله والله ما شمل النبى صلى الله عليه وسلم فى بيته ولا خارج بيته ثلاثة أثواب ، ولا شمل أبو بكر فى بيته ثلاثة أثواب ، غير أنى كنت أرى كساهم اذا احرموا ، كان لكل واحد منهم مئزر ومشتمل لعلها كلها بثمن درع أحدكم .

والله لقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ، ورأيت ابا بكر يخلل بالعباء ، ورأيت عمر رضوان الله عليه يرقع جبته من ادم وهو امير المؤمنين .

هكذا كان يفعل السلف الصالح وهكذا كانوا يواجهون صروف الحيـــاة ، ونحن بطبيعـــة الحال لا نطلب من الشعب المصرى لكى يسقط الحمامة أو يحذو حذو فعال السلف الصالح فى رتق الثياب وترقيعها ، فقد يكون هذا فى العصر الحديث من قبيل الســـخرية والدعابة ، ولكننا يجب أن نعلن انه لو حتمت الظروف علينا مثل هذا العمـــل فقد كان شرفا كبيرا بالنســـبة الى النبى والخلفاء الراشدين .

ولقد كان ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى الاسبق يعلن أثناء الحرب العالمية الأخيرة عن استعداد الشعب البريطانى الى ارتداء المهلهل من الثياب من أجل احراز النصر ، ولم يكن يجد غضاضة فى اعلان ذلك على جماهير الشعب الانجليزى الذى كان ينصت لحديث تشرشل وكأن على رأسه الطير .

وبطبيعة الحال لم يقرأ تشرشل شيئا عما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون بيد أنه أعلن فى صراحة ذلك دون حرج .

ونحن ولله الحمد لدينا من الامكانيات والموارد الاقتصـــادية ما يكفينا ويجعلنا صامدين ازاء العدو شهورا بل سنوات ، واذا ما آمنا بهذه الحقيقة الثابتة وخالجت قلوبنا ، فان النصر لابد أن يواتينا ولا بد أن نحبط خطة الحمامة رأسا على عقب ويعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون .

ويكفى ان نقول ان بايدينا سلاح البترول العربى وهو أحـــد الأسلحة فى الاقتصاد العالمى سواء فى الحرب أم السلم لما له من اهمية من ناحية الاحتياطى والانتاج ، فالاحتياطى فى البلاد العربية من البترول قد بلغ ٢١٨ر٩٢٦ر٥٠٠ برميل بينما بلغ الاحتياطى العالمى

٣٧٢ر٠٥٠ر٣٨٩ برميل وذلك بالنسبة لعام ١٩٦٦ ومعنى ذلك ان البلاد العربية تحوى فى أرضها الطيبة ٢٧ر٥٦ ٪ من الاحتياطى العالمى لهذه المادة الحيوية ، أما انتاج البلاد العربية فلقد بلغ فى العام المذكور ٠٠٠ر٤١٦ر٩ برميل فى اليوم بينما بلغ انتاج العالم فى نفس العام ٦٠٠ر٧٠٨ر٣٢ برميل فى اليوم أى ان الانتاج العربى يمثل ٨ر٥٨ ٪ من الانتاج العالمى »

فاذا أضفنا الى ذلك انخفاض تكاليف الانتاج فى البلاد العربية بالنسبة الى تكاليف الانتاج فى البلدان الأخرى اتضحت أمامنا أهمية البترول العربى ، وذلك بسبب ارتفاع معدل انتاج البئر الواحدة من البترول فى البلاد العربية وعدم وجود آبار جافة كثيرة فى البلاد العربية بالاضافة الى وفرة الايدى العاملة ورخصها وارتفاع تكاليفها فى العالم الغربى ، وازدياد مقدرة البلاد العربية على التصدير لزيادة الانتاج المطرد فيها فى الوقت الذى تعجز فيه مناطق الانتاج الاخرى عن تسويق انتاجها لحاجتها اليه ، وتوفر زيت الوقود بنسبة كبيرة فى بترول الشرق الاوسط بعكس الحال فى خامات النصف الغربى من العالم الذى لايحتوى الا على نسبة ضئيلة من هذا الزيت مما جعل معامل التكرير فى أوربا تعتمد على البترول العربى لاحتوائه على نسبة ضئيلة من الاملاح ، وهذه الصفة تهدم اى منافسة للبترول العربى .

وقد قرر مؤتمر الخرطوم فى أغسطس عام ١٩٦٧ الاستمرار فى ضخ البترول ولاشك أن الاستفادة بعائده لها أثر كبير فى تدعيم الكيان الاقتصادى للبلاد ، فضلا عن الآبار الجديدة للبترول التى اكتشفت فى الدلتا وفى الصحراء الغربية ومن المنتظر أن تقوم بدور كبير فى الاقتصاد المصرى .

فمن هنا كان علينا ان نطمئن وتستقر نفوسنا وتقر عيوننا ؟ ونستعد لمواجهة كل التحديات الممكنة واننا لقادرون بمشيئة الله تعالى على تحطيم خطة الحمامة حتى نهوى بها الى الحضيض »

الفصل الرابع

الجهــود الاعلامية

عندما حضر السيد عبد الماجد ابو حسبو وزير الاعلام السودانى الى القاهرة عقب النكسة تحدث فى راديو صوت العرب من القاهرة وقال اننا قد هزمنا اعلاميا قبل أن نهزم عسكريا .

وقد صدق السيد عبد الماجد أبو حسبو فى هذا الحديث ، فلم يعد الاعلام اليوم يعنى الاصوات العالية ولا الحناجر المدوية ، ولا العصبية الطاغية ، ولا الالفاظ الطنانة الرنانة انما الاعلام أولا وقبل كل شيء علم له أصوله وقواعده وله مبرراته واتجاهاته ، وقد استطاعت اسرائيل أن تقلب الحقيقة فى كثير من الدوائر العربية حتى خرجت بعض الصحف العالمية تتهم الجمهورية العربية المتحدة بأنها هى التى بدأت العدوان ، وأطلقت الرصاصة الأولى فى المعركة .

ولاشك أن هذا افتراء كاذب ولكننا يجب الا نقف عند هـذا الحد من الحديث انما نقول انه كان من الواجب علينا ان نواجه مثل

هذه الدعاوى الكاذبة بسيل عارم من الاعلام السليم حتى لا تتمكن اسرائيل من تسميم جذور التفكير الغربى .

وقد ضرب الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل مثلا حيا من حرب فيتنام فى تأثيرها على الراى العام العالمى على امتداد آسيا وأفريقيا ، فان الثورة الفيتنامية لم تكن تطلب من أصدقائها الا شيئا واحدا .

ـ لا نريد أسلحة ، ولا أدوية ولا تبرعات ، كل ما نريده هو أن تتكلموا عن قضيتنا فى الصحف وفى الاذاعات وفى المؤتمرات الشعبية وتتكلموا باستمرار وهذا كل ما نريد .

ويضيف هيكل قائلا : اننا لم نستطع حتى الآن ان نرسم تصويرا لقضيتنا يمكن تقديمه الى العالم الخارجى البعيد . ولم نستطع ان نحمل هذا التصوير الى العالم الخارجى البعيد بلغة مقبولة خصوصا لدى جماعات المثقفين الذين يتولون الآن قيادة حملة الضمير من أجل فيتنام فى كل مكان حتى البيت الابيض الأمريكى نفسه ؟ !

وفى حدائق ماديسون سومير فى الولايات المتحدة الأمريكية اقامت جماعة الفداء اليهودى المتحدة حفلة أنيقة فى ليلة ١١ يونيو عام ١٩٦٧ عقب العدوان الاسرائيلى فى ٥ يونيو من نفس السنة وتم الاكتتاب فى هذا الحفل لصالح اسرائيل واستطاعت الجماعة جمع مائتى دولار فى الليلة ، ومما يذكر ان هذا الحفل حضره لفيف كبير من نجوم الشاشة البيضاء فى الولايات المتحدة الامريكية منهم كلير بلوم ، وكيرك دوجلاس ، وملنيا ميركورى ، وشيللى وينترز وغيرهم .

ويقوم « الهستدروت » وهو الاتحاد العام للعمال فى اسرائيل بدور كبير فى نشر الدعاية الصهيونية وتقدم جائزة سنوية كبيرة للأشخاص المرموقين فى المجتمع الذين يعطفون على اسرائيل

ويؤيدون الحركة الصهيونية ولا يضنون بجهد فى سبيل تدعيمها وتقويتها وقد منحت هيئة « الهستدروت » عددا كبيرا من اقطاب السياسة فى الولايات المتحدة الامريكية مجموعة من الجوائز ومن الذين ظفروا بجوائز الهستدروت الرئيس السابق هارى ترومان وباركلى نائب رئيس الجمهورية السابق ، وجورج ميتى رئيس اتحاد العمال الامريكى ، ووليم دولار القاضى بالمحكمة الفيدرالية العليا .

وذكر بن جوريون ، الصهيونى العجوز فى أحد تقاريره الى الحكومة ان اسرائيل استطاعت أخيرا أن تجذب بعض زعماء آسيا وافريقيا من الفليبين وكمبوديا وبورما ونيبال والهند ، ونيجيريا ، وغانا : ومن تنجانيقا وكينيا ، ومن الكونغو وتشاد وساحل العاج ، ومن دول أخرى لدراسة النظم التعاونية والمستعمرات الزراعية والتنظيمات العسكرية والمشروعات الانشائية والحركة العمالية والمؤسسات العلمية .

ويكفى أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر لاثبات التغلغل الصهيونى فى قارة افريقيا أن اسرائيل أنشأت فى غانا مدرسة للطيران جميع مدرسيها من الطيارين الاسرائيليين ويدرب الضباط الاسرائيليون القوات الجوية الغانية فى معسكر « جيفارو » وهو قاعدة جوية بالقرب من آكرا .

وفى ليبيريا أنشأت خطا ملاحيا بين حيفا ومونروفيا كما أنشأت أضخم وافخم فندق موجود فى المدينة ومعهدا طبيا لعلاج أمراض العيون ، كما انشأت فى نيجيريا شركة اسرائيلية نيجيرية للقيام بأعمال الانشاء والتعمير ساهمت فيها اسرائيل بأربعين فى المائة من رأس مالها وشركة أخرى لاستغلال مصادر المياه ، أما فى أثيوبيا فقد انشأت اسرائيل مصنعا لتعبئة البرتقال الاسرائيلى فى أسمرة وشركة للاغذية المحفوظة واستخدمت ست بواخر بين مصوع وايلات وانشأت شركة أثيوبية زراعية لاستصلاح الاراضى وزرعها بالحبوب

والقطن اللازمين لاسرائيل ، وأوفدت بعض أســاتذتها للتدريس في الكلية التكنولوجية .

وهدف اسرائيل من تحسين علاقاتها بأثيوبيا هو التغلغل في أرجاء افريقيا عن طريقها وهو مقصد رئيسى بالنسبة لها . اذ تجد في أسواق افريقيــا منطقة خصــــبة لتصريف منتجاتها وتحسين اقتصادها الذى ألحق به الحصار الاقتصادى أشد الضرر فضــلا عما أحدثه اغلاق قنــاة السويس فى وجه البواخر الاسرائيلية من خسارة جسيمة لها .

وفى ميدان الاعلام الصهيونى والدعاية الصهيونية تشن اسرائيل حربها على العرب دون هوادة وهناك شبكة من الصحف الاسرائيلية التى تصدر فى أوربا وامريكا نذكر منها على سبيل الذكر لا الحصر جــريدة « لانفور ماسيون دى لجانس دى برس جويف » ونوفل جويف مونديال ، وجورنال دى لاكومونيتيه ، وتيرترتيروفيه . أما فى انجلترا ففيها جويش كرونيكل نيوزسيرفس ، وذى جويش تلجرافيك أجانسى وويكلى نيوزدايجست ، وورلد جويش أفيرز ، ونيوز فينشر سيرفس ، أما فى ايطاليا فتوجد صحف ويلليبرزمو ، واسبيتى أى بروبليمى ، وفى أفريقيا توجد صحف ايست أفريكان جويش ريفيو وروودسيا جويش جازيف ، وروودسيا جويش تايمز ؛ وافريكان جويش نيوز بيبر ، وسوث افريكان جويش فرنتير وسوث أفريكان جويش أوبزرفر .

وفى كنــدة توجد صحف الجــويش ديلى ايجل ، وجــويش كرونيكل ، والجويش ويكلى ، والجويش مجازين .

أما أمريكا ففيها عدد كبير من الصحف الصهيونية منها جويش مونيتور وينى بريث مسينجر ، وكاليفورنيا جويش فويس ، وفالى جويش نيوز ، والجويش ستار ، وناشيونال جويش ، وجويش تايمز ، وجويش بوست ، وجويش ستاندارد فى ولاية نيوجرسى ،

وفى نيويورك توجد أمريكان هيبرو ، وتلجرافيك اجانسى ووكالة جويش برس وغيرها .

بل ان الدعاية الصهيونية توجه جهودها داخل اسرائيل الى الاقليات العربية ، وتوجد صحف تصدر باللغة العربية ومنها صحيفة«اليوم»وهى شبه رسمية ويصدرها الهستدروت ويشرف عليها حزب الماباى ، وتصدر فى مدينة يافا ، وصحيفة « الاتحاد » وهى جريدة يومية شيوعية تصدر فى حيفا وتنطق بلسان الحزب الشيوعى الاسرائيلى وجريدة « المرصاد » وقد أصدرها حزب « الماباى » عام ١٩٥١ وهى ترجمة لجريدة « عالهمشمار » التى يصدرها الحزب بالعبرية والصحيفة العبرية معناها « الحارس القومى » وهى واسعة الانتشار فى دوائر العمل والعمال ولها مكاتب دائمة فى وشنطن ولندن وباريس .

كما توجد صحيفة « حقيقة الأمر » وهى أسبوعية وتهتم بشئون العمال بتوجيه من السلطات الاسرائيلية .

وصحيفة « الوسيط » ويصدرها حزب الصهاينة العمومى أما جريدة « الحرية » فهى أسبوعية وتصدر عن حزب « حيروت » وتحاول ان تنشر مبادىء الحزب بين الاقلية من العرب .

ولاشك أن المحاولات التى تقوم بها اسرائيل للسيطرة على ميدان الدعاية والاعلام يجب أن تواجه بتيار مضاد من الدعاية العربية والاعلام العربى ، من أجل الوصول الى الابداع العربى الفنى فى التعبير عن القضية الفلسطينية وايثار الثورة التنظيمية والتكنولوجية فى تحديد صلاتنا بالعالم وابراز الشخصية العربية ودور العرب الحضارى فى العصور القديمة والوسطى ، ومخاطبة اليهود بالعقل والضمير وابراز مسئوليتنا تجاه المدنية والسلام واشتراكنا فى المؤتمرات الدولية الدراسية بتقديم افضل الدراسات جودة ونوعا والاستعانة بالخبراء فى ذلك بحيث يكون المسئول عن الاعلام

العربى على اطلاع بصناعة السياسة الخارجية ، والتراث الفكرى والثقافى العربى ، والتيارات الفكرية والسياسية العالمية كما يقوم بخطة اعلامية دقيقة مدروسة لا تسير اعتباطا ولا تنطلق عفوية !

والواقع أن القضية الفلسطينية لم تعد بعد حرب يونيو قضية فلسطين فحسب انما غدت القضية المصرية والقضية الاردنية والقضية السورية . ومن هنا كان خطر مهمة القائمين بالدعاية والاعلام كما أننا يجب أن نفرق بين اليهودية كدين وبين الصهيونية كمذهب سياسى يحاول أن يغزو الشرق العربى كما استطاع ان يتوغل فى بلدان آسيا وأفريقيا وأوربا والعالم الجديد ؟ !

ولابد أن تكون من مهمتنا التنديد بهذه الدعوة الصهيونية كحركة عنصرية تبناها الاستعمار العالمى فجددت مآسى الفاشية والنازية ونكشف النقاب عن النشاط الصهيونى المخرب الارهابى فى العالم فيما يمارسه من أعمال الاغتيال والخطف والتنكيل وما اقترفه ولا يزال من مذابح واسعة النطاق فى فلسطين وخارجها وفضح مسئولية القوى الاستعمارية فى هذه الجرائم كما يجب أن نميط اللثام عن الانطلاق العنصرى الدينى الذى تقوم به اسرائيل واضطهادها لعرب فلسطين وتحيزها ضد اليهود الشرقيين ذاتهم ووصمها باللادينية ، كل يهودى لا يؤمن بالهجرة اليها وتحريف الدين عن موضعه ، ونشر الوعى بحركة القومية العربية حيث انها قوة تمتد جذورها الى ماض حضارى عميق وتنكر التعصب وتناهض تياراته الطائفية والفاشية العنصرية ، واصوله الاستعمارية والصهيونية .

ولعل أول مبدأ يجب أن نتمسك به ونحرص عليه كما اتفق على ذلك خبراء العرب فى المؤتمر الاعلامى فى يوليو عام ١٩٦٧ هو التركيز على وحدة الأهداف والمصير بين أبناء الشعب العربى وتوعية الجماهير العربية بدقائق الوجود العربى وتنبيهها الى الخطر الداهم الذى تمثله قوى الصهيونية المتحالفة مع الاستعمار

وجمع كلمـــة العرب على العمل الموحد فى سبيل تحرير فلسطين والأجزاء المحتلة من الوطن العربى ووقوفهم كتلة واحدة امام اى عدوان يوجه الى اى دولة عربية .

وقد ارتكب الصهاينة فى حرب يونيو من الجرائم ما يتنافى مع القوانين الدولية فقد نصت المادة ٢٣ من لائحة لاهاى للحرب على انه ليس للمتحاربين ان يختـــاروا دون حد الوسائل التى تضر بالعدو ، وعددت اللائحة وسائل العنف غير المشروعة بأنها استعمال أسلحة أو مقذوفات تزيد فى آلام المصابين وفى خطـورة اصابتهم أو استعمال رصاص متفجر من شأنه أن ينتشر بسهولة فى جسم الانسـان أو استعمال غازات خانقة أو ضـــارة بالصحة أو استعمال السموم من اى نوع ، وبأى وسيلة والاجهاز على الجرحى او قتل من سلم نفسه من الأعداء وأصبح أعزل ، كما تنص المواد ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ من لائحة لاهاى على عدم اطلاق النار على مدن العدو وحصونه الا بعد انذارها وطلب التسليم بشرط الا تكون غير مدافع عنها مع عدم اصابة المبانى المخصصة للقيادة والمنشآت الفنية والعلميـــة والخيرية والمستشفيات .

كما نصت لائحة لاهاى عام ١٩٠٧ على الوسائل المشروعة فى الخدع الحربية من اجل الحصول على معلومات عن العدو ، وعن اراضيه ، وكذلك نصت المادة ٣٣ على وسائل الخداع غير المشروعة ومنها التظاهر بالتسليم للعدو حتى يؤخذ على غرة ، واستعمال اشارة الصليب الأحمر لحماية احدى المنشآت العسكرية أو قوافل المهمات واستعمال ملابس جنود العدو وشاراته حتى يســـهل الاندساس بينهم .

وقد نقض الصهاينة هذه اللائحة نقضا مبرما ، وارتكبوا من الجرائم والحماقات ما يدينها أمام القانون وامام الراى العام العالمى ، بل لقد نقضت اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩ فى المواد ٣ ، ١٢ ، ١٤ ،

١٥ ، ١٩ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٢ التى تنص على وجوب العناية بهؤلاء المرضى والجرحى الذين يوجدون فى ميادين القتال من حيث الرأفة بهم وتطبيبهم ومداواتهم واسعافهم الاسعافات العاجلة حتى يمكن نقلهم الى المستشفيات . كما نصت لائحة لاهاى على أنه لا يجوز اعلان ضم الاقليم المحتل الى الدولة التى احتلته ويبقى الاقليم متسما بسيادة الدولة التى هو جزء منها فى الأصل ولا تنتقل ملكية الاقليم المحتل الى الدولة الغالبة الا باتفاق ضمن الصلح النهائى (راجع مادة ٤٣ من لائحة لاهاى للحرب البرية) .

غير أن اسرائيل لم تحترم هذا النص وأعلنت ضم القدس القديمة الى فلسطين المحتلة بل أعلنت ضم سيناء الى اسرائيل وصبت جام غضبها على الأهلين وأمطرت المدن بالقنابل الحارقة ، واستخدمت قنابل النابالم المحرمة دوليا واعتدت على دور العبادة والمستشفيات والقت القبض على شيوخ المساجد والقساوسة المسيحيين وارغمتهم على ترديد عبارات معينة فى خطبة الجمعة أو موعظة الأحد ، واتضح من اعتداء واحد على الأردن بأن قنابل النابالم أحرقت ٢٠٠ سرير فى مستشفى لوثران بالقدس ، وقد مات كثيرون من جراء ذلك وأصيب الكثيرون ايضا . مما جعل بعض الصحف العالمية تنشر المقالات المستفيضة عن الارهاب الصهيونى ومنها جريدة « الجارديان » التى نشرت تقريرا كتبه مراسلها « مايكل ادامز » تحت عنوان « الارهاب الأسرائيلى للفلسطينيين فى غزة » وصحيفة « الأوبزرفر » التى نشرت مقالا لمراسلتها « ايرين بيسون » تحت عنوان « العرب يقولون .. الاسرائيليون يطردوننا من ديارنا » ونشرت صحيفة نيويورك تايمز

مقالا لمراسلها « تيرنيس سميث » جاء فيه ان القوات الاسرائيلية محت قرية من الوجود تماما بعد أن اتهمت سكانها بايواء رجال المقاومة .

كما أكد اونانت فى تقريره المؤرخ فى ١٥ سبتمبر عام ١٩٦٧ الى الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن أن السلطات الاسرائيلية قامت باعدام مدنيين وتدمير منازلهم بعد توقف الاشتباكات كما هاجمت المستشفيات كمستشفى الشفا والميدان والمستشفى العسكرى فى قطاع غزة وقتلت المرضى وبعض الأفراد العاملين واعتقلت الأطباء .

ولا شك أن كل هذه الأعمال لا يقبلها عقل ولا يقرها قانون ولا يسمح بها شرف ولا دين ، وكل هذه الأعمال فى نفس الوقت مادة يمكن أن يستخدمها الاعلام العربى والدعاية العربية فى الدفاع عن القضية الفلسطينية والقضية العربية على السواء ، ودحض الادعاءات الاسرائيلية وتحطيم خطة الحمامة حتى تسقط ميتة فوق التراب ؟!

الفصل الخامس

النصر مع الصبر

أخيرا لكى نسقط الحمامة بل أولا وأخيرا لكى نسقط الحمامة يجب أن نتزود بالصبر والايمان ، والصبر والايمان فضيلتان دعانا الله عز وجل الى التحلى بهما ، فقال تعالت صفاته فى كتابه العزيز « يا أيها الذين آمنــوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين » كما قال « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » كما يبشر الصـــابرين بجنات النعيم فيقول جل علاه « انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حســاب » ويقول « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » .

وروى لنا عز وجل قصة طالوت وقتاله لجالوت وكيف انه استخلص من جيشه الصابرين المطيعين بامتحان قدرتهم على الطاعة والصبر فى يوم شديد الحر ظمىء فيه الجند ظمأ شديدا . فمنعهم

عن الشرب من نهر مروا عليه الا غرفة يد واحدة فأطاع الأمر وصبر على الظمأ قلة من جيشه فسار بهم الى قتال جالوت فهالهم ما هم فيه من عدة وعدد ولكن ايمانهم وطاعتهم وصبرهم مهد لهم النصر على الأعداء فقال تعالى « فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ، ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، قال الذين يظنون انهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين ، ولما برزوا لجالوت وجنوده ، قالوا ربنـــا افرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القـــوم الكافرين ، فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « أفضل العبادة انتظار الفرج » كما قال « الصبر نصف الايمان » وقال أيضا « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليـــه راجعون اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها » .

وروى ابن عباس : كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا » .

وقال أيضـــا « ما يصيب المســـلم من نصب ولا صب ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها خطاياه » .

وهكذا حمـــد فضيلة الصبر والايمـــان بالله سبحانه وتعـــالى ورسوله الكريم كما حمدها العلماء والحكماء وقال بعضهم « عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج » . وقال شاعرهم :

وإذا مسـك الـزمان بضر عظمت دونه الخطـوب وجلت
وأتت بعـده نوائب أخـرى سئمت نفسـك الحياة وملت
فاصطبر وانتظـر بلوغ الأماني فالـرزايا اذا توالت تولت

وأعتقد أن اثنين لا يختلفان فى ميزة الصبر والايمان ، ولكن يجب ألا يتسرب الى الأذهان أن الصبر معناه الخضوع والخشوع والارتكان الى الضعف والاستخذاء وعدم اتخاذ العـدة للمعركة والأهبـة للقتـال فقد قال تعـالى فى كتابه العزيز « وأعـدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » فالاستعداد ضرورى للمعركة والعمل واجب فى سبيل اعادة البناء على أسس قوية ودعائم متينة وقواعد ثابتة !

وينبغى ألا تكون أحاديث الصبر والايمان وسيلة الى السخرية والتهكم أو مدعاة الى الوصف بالرجعية والتأخر حتى انى قرأت لشاعر معاصر قصيدة من الشعر فى مجلة الآداب البيروتية ينعى علينا القول بأن الصبر مفتاح الفرج فى عقر ديارنا بينما العـدو يتزود ويتسلح ؟ !..

ولا شك أن نزار قبانى ناظم هذه القصيدة متشائم الى أبعد الحدود .

وقد جاء فى هذه القصيدة :

يا فتح مرت سنه
ولم يزل خنجر اسرائيل فى ظهورنا
ولم نزل نبحث فى الظلام عن قبورنا
ولم نزل كالأمس أغبياء
نردد الخرقاء البلهاء
الصبر مفتاح الفرج
ولم نزل نظن أن الله فى السماء
يعيدنا لدورنا

ولم نزل نظن أن النصر

وليمة تأتى لنا ونحن فى سريرنا

ولم نزل نمضغ ساذجين

حكمتنا الفضله

الصبر مفتاح الفرج

ان الرصاص وحده لا الصبر مفتاح الفرج

فقد رانت على قصيدته سحابة قاتمــة من الكآبة والحزن ، ونحن يجب الا ندع هذه التيارات الكئيبة تؤثر فى حياتنا ، وتتغلغل فى وجودنا ، فان الاستعداد للمعركة والتهيؤ للقتال ، والحصول على الذخائر والمعدات يعتبر لا شىء اذا لم تصاحب ذلك كله طاقات روحية متوقدة ، ومشاعر قومية ملتهبة ، وايمان عظيم وصبر عند البـــلاء .

ومن هنا نردد مرة أخرى أن الصبر مفتـــاح الفرج ولكننا فى نفس الوقت نقول ان ديننا يدعو الى القوة كما يدعو الى السلام ، وربنا رب العزة وديننا هو القوة ورسالتنا هى رسالة الجهاد ، وعبادتنا هذه نابعة من صميم ديننا ، ومن واقع ايماننا . فقد قال تعالى : « سيجعل الله بعد عسر يسرا » كما قال تعالت صـــفاته وجلت آلاؤه : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة ، والينا ترجعون » .

وعندما نفهم حق الفهم معنى الصبر والابتلاء فى الاسلام ندرك أننا قد وضعنا أيدينا على الخطة السليمة التى تودى بالجمامة الى الأرض وما من طائر علا وارتفع الا كما طار سقط ووقع ؟ !

الثمن ١٠ قروش

